



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

الألم والاختراب في شعر عثمان لوصيف

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي. تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الدكتور:

* السعيد قرفي

إعداد الطالبتين:

* إيمان ميم

* سناء حميداتو

لجنة المناقشة:

جامعة حمه لخضر - الوادي-	مشرفاً	د. السعيد قرفي
جامعة حمه لخضر - الوادي-	رئيساً	د. يوسف العايب
جامعة حمه لخضر - الوادي-	مناقشاً	د. عبد الكريم شبرو

السنة الجامعية: 1439 . 1440 هـ / 2018 . 2019 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا

إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ

الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴿

البقرة: ٣٢

صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ

شكر و تقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله سبحانه وتعالى الذي أكرمنا بنعمة الوالدين، وأعزنا بنعمة الدين وأمدنا بنعمة العقل و الصحة وأتم علينا بنعمة القلم واليقين وسخرلنا كل شيء.

نشكر الله تعالى على فضله الذي أنار لنا الدرب ويسر لنا الأمر وأعاننا على الصبر وأمدنا بالقوة والعزيمة لإتمام وإنجاز هذا البحث... فالشكر لله أولاً وأخيراً.

ومصادقا لقول الرسول ﷺ " لا يشكر الله من لا يشكر الناس "

يجدر بنا في هذا المقام أن نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان العظيم والعرفان الوفير إلى الأستاذ الفاضل *السعيد قريفي* على تأطيره لهاته المذكرة وعلى رحابة صدره وصبره علينا وعلى ما بذل من جهد عظيم وإرشاد ومتابعة وتسهيل كل العقبات خلال مراحل إنجاز هذا البحث.

فكان النبراس الذي أضاء طريقنا بفضل توجيهاته القيمة والتي نبع من خلالها هذا العمل.

تجف الأقلام وتحتفي العبارات ويعجز اللسان عن التعبير ولا نجد كلمات شكر وأسمى عبارات التقدير نقدمها عرفانا للأستاذ المحترم "السعيد قريفي" على الجهود الجبارة التي بذلها معنا ويسر لنا الكثير من الصعوبات والذي لم يبخل علينا بنصائحه وبمعلوماته القيمة طيلة هذا البحث.

كما نتقدم بالشكر والعرفان إلى الأساتذة الأفاضل للجنة المناقشة على جهودهم التي بذلوها معنا وقبولهم مناقشة هذه الرسالة.

ولكل من ساهم من قريب أو من بعيد و أسدى إلينا معروفا ولو من باب التشجيع أفضل تشكراتنا

وعرفان بالجميل والله نسأل أن يجازيهم عنا خيرا الجزاء.

مقدمة

مقدمة

إن ظاهرة الألم والاعتراب ليست وليدة هذا العصر بل هي قديمة قدم الوجود الإنساني، وقد سادت هذه الظاهرة لتخرج من نطاق الحالات الفردية فتصبح إحدى السمات المميزة للعصر الحالي مع اختلاف المجتمعات، فمظاهر العنف والتمرد والتغيرات السريعة المتلاحقة التي تموج بها المجتمعات المعاصرة أدت إلى اهتزاز علاقة الإنسان بذاته مما أدى إلى انتشار ظاهرة الألم والاعتراب.

وقد تكون ظاهرة الألم والاعتراب سمة مميزة يعرف بها الشعر المعاصر حيث شكلت هذه الظاهرة حالة انفعالية وسمة بارزة في نصوص الشعر العربي المعاصر حتى أصبحت هذه الظاهرة إيقاعا يستوطن نفوس وقلوب الشعراء المنقوعة بألم وغربة الحنين، وتكشف عن رؤية وجودية في المجتمعات المعاصرة، تعبر عن حالة من المعاناة والآلام في تباين مستوياتها ومصادرها، والتي باتت سمة من سمات هذا المجتمع.

فثنائية الألم والاعتراب شكلت نتاجا لواقع اجتماعي يعيشه إنسان ويعاني منه حتى أصبح هذا الواقع المحرك الأساسي في عملية الإبداع الشعري، ولا شك أن ظاهرتي الألم والاعتراب أصبحت هاجسا مهيمنا عند كثير من الشعراء، فأخذوا يعبرون عن آلامهم ومعاناة الاعتراب وجاء ذلك في إبداعاتهم في صور مختلفة وإيقاعات ملائمة لإيقاعات المعاناة والاعتراب في صور تخيلية تقتنص خفاقات القلب المؤتلم والمفجوع بالغربة، في هذا العصر.

ويعد الشاعر عثمان لوصيف واحداً من الشعراء الذين اکتبوا بنار هذه التجربة، وعبروا عنها في العديد من القصائد التي احتوتها دواوينه الكثيرة، وقد وقع اختيارنا على موضوع "الألم والاعتراب في شعر عثمان لوصيف" لعدة اعتبارات أهمها: الوقوف على الأسباب التي جعلت من ظاهرتي الألم والاعتراب أحد الموضوعات الشعرية البارزة في إبداعات شعراء هذا العصر خصوصا، ثم دراسة خصوصيات هذه التجربة الشعرية عند عثمان لوصيف، كونه أحد شعراء الجزائر الذين عاشوا فترة عصيبة من تاريخ الجزائر، فترة الثمانينيات من القرن الماضي.

قد قادتنا قراءتنا في موضوع البحث لطرح الإشكالية الأساسية الآتية :

- ما مدى حضور ظاهرة الألم والاعتراب في شعر عثمان لوصيف؟

واندرجت تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات هي:

- ما هي الصور التي تجلت فيها ظاهرتا الألم والاعتراب في شعر عثمان لوصيف؟ وما مدى تعبيرها عن واقعه؟

- ما الخصائص الإيقاعية والصور التخيلية التي ارتبطت بشائبة الألم والاعتراب في شعر عثمان لوصيف؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية وما يندرج تحتها من تساؤلات، اتبعنا خطة تتكون من مقدمة، فصلين وخاتمة

المقدمة: حيث تناولنا فيها تمهيداً للموضوع والدافع اختيارنا لهذا البحث كما طرحنا إشكالية لهذا البحث وخطة لهذا الموضوع وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها والمنهج المتبع.

الفصل الأول: وكان عنوانه حضور الألم والاعتراب في الشعر العربي القديم والحديث، حيث تناولنا فيه مفهوم الألم والاعتراب لغة واصطلاحاً، وحضور الألم والاعتراب في الشعر العربي القديم والحديث.

الفصل الثاني: وعنوانه صور الألم والاعتراب في شعر عثمان لوصيف، والذي تناولنا فيه صور الألم والاعتراب في شعره وكذلك جمالية اشتغال تيمه الألم والاعتراب إيقاعياً وتخيلاً ومدى قدرتهما في الإفصاح عن الحالة الشعورية لدى الشاعر.

وخاتمة: موجزة للنتائج التي توصلنا إليها .

وفيما يخص المنهج فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي في الشق النظري، وأما في الدراسة التطبيقية استفدنا من الآليات الجمالية في بعض المناهج كالأسلوبية .

وقد استعنا في بحثنا بجملة من المراجع التي ساهمت في إثرائه وبسطه نذكر منها: الاعتراب في الشعر العربي من عتبات الألم إلى احتراق الذات، د.حسن لشقر، ومفهوم الاعتراب في الأدب، نبيل راغب، والاعتراب اصطلاحاً مفهوماً وواقعاً، لقيس نوري، والحنين والغربة في شعر العربي الحنين إلى الأوطان يحيى الحويوري، والاعتراب لأبي زيد أحمد.

وقد استطعنا بفضل الله، ثم توجيهات الأستاذ المشرف أن نتجاوز كثيراً من الصعوبات التي هي من طبيعة البحوث.

وفي الأخير، نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف لم ييخل علينا بمجهده وعلمه ووقته.
ولا ننسى تقديم الشكر اللجنة المناقشة على تبشمها عناء قراءة هذا العمل بغية توجيهه وتسديده.

الفصل الأول

حضور الألم والاعتراب في الشعر العربي القديم والحديث

1- تعريف الألم

أ- لغة

ب- اصطلاحا

2- تعريف الاعتراب

أ- لغة

ب- اصطلاحا

3- حضور الألم والاعتراب في الشعر العربي القديم والحديث

أ- حضور الألم والاعتراب في الشعر العربي القديم

ب- حضور الألم والاعتراب في الشعر العربي الحديث

1-تعريف الألم

أ- لغة:

وُردت صيغة الألم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُونَ كَمَا تَأْمُونُونَ﴾¹؛ أي إن يحصل لكم الوجع. فالألم إذا هو الوجع الشديد، وهو مصدر لفعل ألم يألم، كعلم يعلم، وهو مقابل للذة، والألم واللذة هما من الأحوال النفسية الأولية، فلا يُعرّفان، بل نذكر خواصهما وشروطهما دفعًا للالتباس اللفظي².

والمعنى نفسه نجده في أغلب المعاجم العربية، ففي معجم المحيط الألم هو الوجع، أو هو إدراك المنافر من حيث هو منافر ويقابله اللذة، وهو العذاب الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ³.

- وفي المنجد في اللغة والأدب والعلوم: إلم ألمًا، أي حصل له وجع فهو ألم، وألم تأليمًا بمعنى أوجعه، وتألم أي توجع، وهو الألم الشديد، الأليم: الموجه كالسميع بمعنى المسمع⁴.

- وفي معجم الوسيط: هو الوجع، حيث يقال ألم بطنه: أي وجع بطنًا.

- والألم في الفلسفة: أحد الظواهر الوجدانية الأساسية⁵.

ب- اصطلاحًا:

"الألم هو تجربة حسية وعاطفية بغيضة، متعلقة بضرر نسيجي فعلي أو كامن، أو هو صوفة بمصطلحات تمثل ضرر كهذا"⁶.

- حيث يعرفه (ابن سينا): أعلى أنه إدراك ونيل لوصول ما هو عند المدرك آفة وشر.

- كما يعرف (ديكارت): الألم هو الشعور بنقص، وهو أقرب إلى التحصيل من قوله الألم إدراك المنافي من حيث هو منافي⁷.

¹ سورة النساء، آية 104.

² د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1972، ص125.

³ معجم المحيط، (دط)، (دت)، ص15.

⁴ المنجد في اللغة والعلوم، مكتبة نور، (دط)، (دت)، ص17.

⁵ معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1960، ص24-25.

⁶ <https://ar.m.wikipedia.org>، 19:30، 12/02/2019.

⁷ د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص125.

- ويرى (فرويد) بأن الألم يثير مشاعر الاستياء، مما يؤدي إلى الإحساس بذنب علاوة على أنه عرض هستيري شائع وغالبا ينجم عن الإحباط¹.

- ولعل أحسن تعريف للألم هو التعريف المشتغل على ذكر خواص الألم وأسبابه، كتعريف (أرسطو) الذي جاء فيه أن الألم ينشأ عن فعل المضاد لطبيعة الفاعل، أو تقل عنه، والألم نوعان جسمي، ونفسي، والألم الجسماني ينشأ عن إحساسات جسمانية ذات مصدر محدود، كاحتراف اليد والألم النفساني ينشأ عن تأثير الميول والأفكار، كمن يسقط في الامتحان فيتألم لعدم بلوغه غايته². "فالألم عادة هو إحساس أو شعور سلبي بعدم السعادة، والمعاناة، والألم قد يكون مادياً أو معنوياً بحسب العوامل التي تسببه فقد يكون نتيجة إحساس أو شعور، المادي قد يكون مثل الصداع أو المغص، والمعنوي مثل الحزن والقلق والتوتر"³.

2- تعريف الاغتراب:

أ- لغة:

يشير لفظ "الاغتراب" في المعاجم العربية إلى أكثر من دلالة، ولعل أبرزها وضوحاً هي الغربة المكانية أي البعد عن الوطن.

- ففي لسان العرب "لابن منظور" في مادة غَرَبَ⁴: التَّوَيُّ والبعد، والتغريب: النفي عن البلد، والغربة والغروب النزوح عن الوطن ومنه الفعل اغترب، يغترب أي نزح عن الوطن ونأى عنه.

- والمعنى نفسه يتكرر في المعجم المحيط: الغربة بالضم: النزوح عن الوطن وأيضاً الاغتراب والتغرب، ونجد أيضاً غَرَّبَ: غاب، كغَرَّبَ وَبَعَّدَ واغترب تزوج في غير الأقارب⁵، وفي الحديث النبوي الشريف: "اغتربوا لا

¹ <https://larm.Wikipedia.org/wikilcite-ref-3> على الساعة 17:52، تاريخ 14 مارس 2019

² ينظر: جميل صليبا المعجم الفلسفي، ص126.

³ <https://larm.Wikipedia.org/wikilcite-ref-3> على الساعة 17:52، تاريخ 14 مارس 2019.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، باب غرب، مجلد1، دراسات العرب، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص638.

⁵ مجد الدين الفيروز أبادي، "المعجم المحيط"، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمان المرشيلي، دار إحياء التراث العربي، ج1، بيروت، ط1، 1997، ص206، 207.

تضوّوا"¹، أي لا يتزوج الرجل القرابة فيجيء ولده ضاويًا*. كما ورد في معجم الوسيط: غَرَّبَ في الأرض أمعن فيها فسافر سفرًا بعيدًا واغترب فلان نرح عن وطنه².

- كما يشير (الجوهري) في كتابه "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" إلى معنى كلمة غربة: الاغتراب نقول منه تغرب واغترب بمعنى هو غريب والتغريب النفي عن البلد، وغرب، أي بعد. اغرَّب عني، أي تباعد³.

- أما في أساس البلاغة للزمخشري يقال "غَرَبٌ": أبعد، وغَرَّبَ الوحش في مغارها، أي غابت في مكانها⁴.

- وورد في "مختار الصحاح" للشيخ الإمام بن عبد القادر الرازي أن "الغربة: الاغتراب، نقول تَغَرَّبَ واغترَّب بمعنى فهو غريب وغُرِّبه والجمع الغرباء، والغرباء أيضًا الأبعد واغترب فلان إذا تزوّج إلى غير أقرابه"⁵.

وخلاصة القول فإن مجمل التعاريف اللغوية للاغتراب اقتصر على الجانب المادي له أي الغربة المكانية، لذلك كان اهتمامهم على الوطن والنزوح منه.

ب- اصطلاحا:

لاقي مفهوم الاغتراب الكثير من الاهتمام لمحاولة ضبطه، نظرًا لتعدد هذا المصطلح وتعدد وجهاته وأبعاده، فهو طوعى يختاره الإنسان لأسباب منها عدم الانسجام مع المجتمع، والعجز عن الانتماء، وعدم الرضا بالتقاليد والأعراف والمخالفة وكثير ما يشعر المغترب بالوحدة والعزلة، والفراغ النفسي، كذلك شعوره بافتقاد الأمن وسوء العلاقات الاجتماعية وافتقاد الطمأنينة⁶، فالاغتراب بشكل عام هو اضطراب نفسي يعبر عن

¹ الجوهري "الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، مجلد الأول، باب غرب، ت، أحمد بن عبد الغفار عطار، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1984، ص191.

* الهزبل الضعيف

² إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، مطابع دار المعارف بمصر، ط2، ص647.

³ الجوهري "الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية"، ص191-193.

⁴ الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1404هـ، 1984م، ص447.

⁵ الرازي، مختار الصحاح، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، (دط)، (دت)، ص397.

⁶ يحيى الجيوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، دار مجد لاوي، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص45.

اغتراب الذات عن هويتها وبعدها عن الواقع وانفصالها عن المجتمع وهو غربة عن النفس والعالم وغربة بين البشر¹.

وقد أخذ مفهوم الاغتراب حينًا واسعًا في عدة دراسات فلسفية ونفسية كما اختلف الكثير من المفكرين والكتاب في تعريفهم للاغتراب، "صحيح أن كلمة الاغتراب تشكل مجالات عديدة إلا أنها لا بد أن تشترك في نقطة واحدة لكل الكتابات التي تناولت هذا الموضوع على الرغم من كثرتها وتنوع استعمالاتها لهذا المصطلح غير أنها تشير إلى أمور معينة فيه مثل الانسلاخ عن المجتمع أو العزلة أو الانعزال والعجز عن التلاؤم والاختفاق وعدم التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء"².

ويعد الفكر الغربي سابقًا في البحث في ظاهرة الاغتراب وتتبع أصولها ومنابعها الأولى، فمعظم الباحثين يتفقون على أن "هيجل"، كان أول فيلسوف وظف مصطلح "الاغتراب"، على نحو منهجي ومفصل، حيث حدد مفهومه بأنه "غربة الإنسان عن نفسه وذلك نتيجة تفريق النفس عن الطبيعة الجوهرية، وغربة البنية الاجتماعية وهي الوجه الثاني لغربة الفرد وانفصاله"³، فهو يرى أن للاغتراب معنيين، معنى إيجابي يتمثل في تخارج الروح وتجليها على نحو إبداعي، معنى سلبي يتمثل في عدم قدرة الذات على التعرف على ذاتها في مخلوقاتنا من الأشياء والموضوعات⁴. بمعنى أن الاغتراب حقيقة متأصلة في طبيعة الوجود الإنساني في العالم، فالاغتراب يتمثل في انقسام الذات إلى فاعل وموضوع، حيث تناضل الذات وتسعى للتحكم في مصيرها.

أما عن حضور الاغتراب في الإسلام، فيرى علماء ومفكرون عرب أن الاغتراب هو انفصال الإنسان عن الله، فالاغتراب وإن لم يرد ذكره في القرآن الكريم إلا أننا نستخلصه من قصة سيدنا آدم عليه السلام، من خلال هبوطه من الجنة واغترابه عن الله، فهذه القصة عبرت عن فكرة الاغتراب لقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ

¹ الفارس مجدى، الخصائص النفسية الفارقة والمتعلقة بكشافة التعرض لبرامج التلفزيون الفضائية لدى الشباب الجامعي، رسالة الماجستير، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة، 2004، ص2.

² أبو زيد أحمد، الاغتراب، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج10، عدد1، ص1979، ص4.

³ عزيز السيد حاسم، تأملات في الحضارة والاعتراب، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص43.

⁴ ينظر: فاطمة حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997، ص4.

أَنْتَ وَرَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَامُهَا رَعْدًا حَيْثُ شِعْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ¹. وعبر عنه الرسول ﷺ بقوله: "بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء"².

وقد عبر بعض الباحثين والمفكرين عن مفهوم الاغتراب منهم صلاح مخيمر الذي يرى الاغتراب أنه "نوع من الاضطراب في علاقة الفرد بنفسه والعالم، حيث يشعر المرء بأنه غريب عن ذاته منفصل عن واقعه بسببه فقدان المعنى المتمثل بصورة أساسية في الهدف والقيمة، مما يعطل الحركة الديناميكية ما بين الذات والواقع"³. بمعنى أن الاغتراب عنده انفصال العلاقة بين الفرد والمجتمع وانفصاله عن المحيط الذي يعيش فيه وهذا ما يجعله مغترباً منفصلاً عن الآخر.

- ويقول (عبد السلام الشاذلي): "إن الاغتراب بكل حوافره التغريبية ظاهرة موهلة منذ القدم، في أدبنا العربي القديم. فالمنهج الفني للقصيد العربية في العصر الجاهلي عند امرئ القيس وعبيد الأبرص وغيرهما من أصحاب المعلقات ما هي إلا رد فعل شعوري على غربة العربي البدوي وسط الصحاري الشاسعة وما الأطلال في مقدمة تلك القصائد العربية القديمة غير حافز تغريبي للتدفقات الشعورية الأولى في المبنى العام للقصيد العربية القديمة وهو حافز يدفع دائماً إلى تنشيط جدليات الوعي الفني لدى الشعر الجاهلي"⁴.

- ويعرفه (أحمد أبو زيد): "أنه انسلاخ عن المجتمع وعزلة وانعزال عن التلاؤم وإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة وعدم شعور بانتماء، بل وأيضا انعدام الشعور بمغزى الحياة"⁵.

- ويشير (حليم بركات) أن الاغتراب درجات ومراحل "مرحلة تبدأ على الصعيد المجتمعي، وبنياته الاجتماعية، السياسية والاقتصادية ووضع الإنسان العاجز فيها، ثم تليه مرحلة الاغتراب الحقة، بوصفها تجربة نفسية شعورية عند الفرد، عند العاجز تتصف بعدم الرضا عن الأوضاع القائمة ورفض الاتجاهات

¹ سورة البقرة آية 35.

² إمام حافظ أبي الفرج بن رجب الحنبلي التوحيد الخالص "كشف الكربة في وصف أهل الغربة" من الموقع 27-01-29 تاريخ 14:11 ساعة،

www.twined.com

³ يونسى كريمة، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيف الأكاديمي لدى طلاب الجامعة، أطروحة لنيل شهادة ماجستير (مخطوطة)، إشراف بوكرة فاطمة الزهراء،

قسم علم النفس العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، (2011-12-20) ص28.

⁴ عبد السلام محمد الشاذلي، حول قضايا التغريب وتجريب، دار الحداثة لطباعة ونشر وتوزيع، ط1، لبنان، بيروت، 1985، ص68.

⁵ خليفة علد الله محمد، دراسة سيكولوجية الاغتراب، دار الغريب لطباعة ونشر، القاهرة، مصر، (دط)، 2003، ص21.

والأسس والقيم السائدة هي النتائج السلوكية الفعلية والانسجام مع المجتمع والرضوخ لها ظاهراً، والنفور ضمناً، والتمرد والثورة عليه"¹.

- ويعرفه نبيل راغب بأنه: "حالة نفسية تلازم الإنسان وتشعره بالألم والحزن سواء كان هذا الإنسان في ظنه، أم كان بعيداً عنه"². ولعل الاغتراب الذي يتحدث عنه "نبيل راغب" هو اغتراب نفسي لا دخل للمجتمع فيه. في حين أن "قيس النوري" يرى أن الاغتراب "هو الانفصال عن المجتمع وثقافته..."³ وما يقصده "قيس النوري" هو الاغتراب الناجم عن المجتمع والآخرين، وما ينجم عنه من اغتراب ثقافي وفكري. وخلاصة القول يمكن أن نقول بأن الاغتراب ظاهرة إنسانية موهلة في القدم، وهو حالة شعور الفرد بالانفصال عن الآخرين والمجتمع، نتيجة الظروف المحيطة بالفرد سواء كانت النفسية، أو الثقافية أو الحضارية المتمثلة في جملة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

3- حضور الألم والاغتراب في الشعر العربي القديم والحديث:

أ- حضور الألم والاغتراب في الشعر العربي القديم

في هذا المبحث سنحاول تتبع ظاهرة الألم والاغتراب في الشعر العربي القديم، وذلك من خلال نماذج شعرية لبعض الشعراء الذين عانوا وعاشوا هذه الظاهرة، حيث اتخذت هذه الظاهرة أبعاداً أكثر عمقا وتشعباً، نظراً لتعدد الحياة آنذاك، وقد بدا ذلك جلياً في كثير من النصوص الشعرية للعديد من الشعراء الذين جسدوا مشاعر الألم النفسي. والاغتراب المكاني على حدٍ سواء، فجاءت أشعارهم مرآة عاكسة لنفوسهم الضائعة والممزقة في متاهات العربة الأليمة.

أ-1 الألم في الشعر الجاهلي:

يشكل الألم سمة من سمات الكائن الحي الذي تحيط به مجموعة من الأحاسيس والمشاعر والتي لا يمكن كتمها على مرّ الزمان، فالألم في الشعر يعتبر منهل الإبداع ومجمره، وهو يعتبر سمة إنسانية عامة. والقارئ

¹ حليم بركات، مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب بولاق القاهرة، مصر، 1983م، ص209.

² نبيل راغب، مفهوم الاغتراب في الأدب، مجلة الفيصل، العدد 96 مارس، 1985، ص47.

³ قيس النوري، الاغتراب اصطلاحات مفهومها وواقعا، مجلة عالم الفكر، عدد1، 1979، ص18.

للمعلقات يجد نفسه أمام سيل من الدموع، ونفق من الهموم ونزيف جراح من الحروب المستمرة لأتفه الأسباب.

يقول النابغة الذبياني:

يا دارَ مَيَّةَ بالعلَّيَاءِ، فالسَّنَدِ
أقوتُ، وطالَ عليها سالفُ الأبدِ
وقفتُ فيها أُصيلاً كي أسأئِلهَا
عَيَّتْ جواباً، وما بالرَّبيعِ من أحدِ
أمسَتْ خلاءً، وأمسى أهلها احتملوا
أخنى عليها الذي أخنى على لبِ
فعدَّ عمّا ترى، إذ لا ارتجاعَ له
و انمِ القتودَ على عيرانةِ أجدٍ¹.
إن رحيل المحبوبة يمثل حزناً شديداً يؤلم الشاعر الجاهلي وما يتبعه من ألم نفسي عاطفي وجداني رهيب.
ويقول امرئ القيس في أبيات يصف فيها حالته المعاشة بمرارة:

وليلِ كموجِ البحرِ أرخى سُدُولَهُ
عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ
وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكُلِّكَلِ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي
بِصُبْحِ، وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ².

يصف الشاعر ليله الطويل فيخاطبه ويجاوره دون إخفاء يأسه، ويأسه أقسى من البكاء والدموع، يأتي غالباً بعد ألم شديد.

أ-2 الاغتراب في الشعر الجاهلي:

لقد كان للبيئة الصحراوية القاسية، وما ارتبطت به من ترحال وهجر دور في شعور الشاعر الجاهلي باضطراب نفسي، وهذا ما ولد في نفسيته الإحساس بالاغتراب وما يترتب عنه من إحساس مريب بالتيه والفقدان والتمزق الذاتي. وأكثر ما تجلى هذا الشعور في الوقوف على الأطلال والبكاء والشكوى عندها خاصة في مقلقات الشعراء الجاهليين. فالوقوف على الأطلال والبكاء عندها ما هو إلا صورة من صور التعبير عن هذه الحالة³.

¹ النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق وشرح: البستاني، دار صادر، بيروت، ص30-31.

² امرئ القيس، ديوان ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004، ص117.

³ عادل الألوسي، العبقارية والاغتراب، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص13.

يقول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل
ترى بعز الأرام في عرصاتها وقيفاها كأنه حب فلفل¹.

فالشوق والحنين ولد في نفس الشاعر شعورًا عاطفياً مفعماً بذكريات الماضي لهذا جعل الملل بمثابة المحرق الذي تنبثق عنه الأشواق لتتلاقى، ومن هنا يتولد إحساس الشاعر بالاغتراب الذاتي والمكاني. ومن الشعراء الصعاليك الذين عاشوا وعانوا ظاهرة الغربة نذكر الشاعر عروة بن الورد الذي عاش ظاهرة الاغتراب، حيث كان يعيش لغيره أكثر مما يعيش لنفسه، ويذل كل شيء في سبيل غيره. يقول بن الورد:

دعيني للغنى أسمى ، فإني رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهولهم عليهم وإن أمسى له حسب وخير
ويقصيه الندى، وتزدرية خليلته وينهره الصغير².

في هذه الأبيات يظهر لنا الشاعر الصعلوك أثر الفقر في غربة الإنسان بين أهله وذويه، لهذا اتخذ من الإغارة وسيلة لكسب المال حرصاً منه على الانتماء، فتوفر المال يصل عروة بذوي القربى والناس وبذلك لا يعيش على هامش الحياة غريباً بينهم ومن هنا كان يسعى جاهداً للحصول عليها.

أ-3 الألم في الشعر الإسلامي:

كانت أغلب أشعار العصر الإسلامي تنبض بالألم الناجم عن ألم الانفصال عن الأصل المكاني وعن الاغتراب الذاتي المكاني ومن أجمل الأشعار التي نلتبس فيها الألم النفسي "بائية مالك بن الربيع" في رثاء نفسه³

يقول:

¹ امرئ القيس، الديوان، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط2، 1964، ص8.

² الديوان، دراسة وشرح وتحقيق أسماء بوبكر، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998، ص58.

³ بتصرف، د. حسن لشقر، الاغتراب في الشعر العربي، من عتبات الألم إلى احتراق الذات، مطبعة الوراقة بلال، ط1، 2015، ص28.

ألا ليت شعري، هل أبيتَ ليلَةً
بجنب الغصَى أُرْجِي القِلاصَ النواجيا
فليت الغصى لم يقطع الركبَ عَرْضَه
وليت الغصى ماشى الرِّكابَ لياليا
أجبتُ الهوى لما دعاني بعبْرَةٍ
تقنَّعتُ منها أن ألامَ ردايماً¹

كان الشاعر في هذه الأبيات يحتضر وهو بعيد عن أهله وخلانته، فجاءت قصيدته هذه مبنية على زفرات الكآبة والألم.

أ-4 الاغتراب في الشعر الإسلامي:

كان للإسلام أثره في تغيير الفكر الجاهلي، والقضاء على العادات والتقاليد السيئة كما يرجع له الفضل في إضاءة الأمن والأمان في النفوس الضائعة والمضطربة، لكن رغم ذلك بقيت ظاهرة الاغتراب يتردد صداها عند كثير من الشعراء المسلمين، حيث كان للفتوحات الإسلامية العامل الأساسي في شعورهم بالاغتراب، فهي "بداية التغرب الحقيقي عن أرض الجزيرة العربية بشكل كبير ومنظم، وقد كانت هناك دوافع عديدة للاشتراك ضمن قوافل المجاهدين أهمها الدافع الديني، فقد لبى داعي الجهاد في سبيل الله آلاف المسلمين، طاعة لله وابتغاء رضوانه"² لهذا وجد هؤلاء الفاتحون أنفسهم بعيدين عن أوطانهم مغتربين عن أهلهم وأحبابهم.

يقول مالك بن الرب التميمي في أبيات يرثي بها نفسه ويشكو غربته وهو يموت غريباً وحيداً بعيداً عن أهله:

يقولون لا تَبْعُدْ وهم يَدْفِنُونِي
وأين مكانُ البُعدِ إلا مَكَانِيَا
غداً غِدِّ يا هُفَفَ نَفْسِي على غِدِّ
إذا أَدَجُّوا عَنِّي وَخَلَّفْتُ ثاويَا
فيا صاحبي إما عرضتَ فبلغن
بني مازن والرَّيبُ أن لا تلاقيا
بعيدُ غريبُ الدارِ ثاوٍ بقرّةٍ
يَدَ الدهرِ معروفاً بأن لا تدانِيَا³

¹ مالك بن ريب، ديوانه حياته وشعره، تحقيق: نوري حمودي القيسي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد 15، ص 88.

² فاطمة حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 1997، ص 29.

³ مالك بن ريب، ديوانه حياته وشعره، ص 89.

نلاحظ في هذه الأبيات عمق اغتراب الشاعر، لأنه أحس بقرب أجله، لذلك انتابه شعور البعد عن الديار والأهل، لهذا جاءت أبياته تفيض بالأسى.

أ-5 الألم في الشعر الأموي:

يولد الألم في الشعر الأموي بصورة الاغتراب النفسي الذي يصدر أساساً عن ألم العشق والشوق والشعور بالضيق أو التيه، فالألم يكمن في بعده عن محبوبته بسبب القيود التي فرضها مجتمعه عليه، لحرمانه من الزواج منها.

يقول توبة بن الحمير:

وبي من هوى ليله هوى لو أبته ولو كان أعدى الناس لي كان ينصح
هوى لم تغيره الحروب ولم يزل على عهد ليلي أو يريد فيريح¹.

يصف الشاعر صدق مشاعره وحبه لمعشوقته التي حرماها عليه مجتمعه، مما سببا له ألم الانفصال، لكن الشاعر تمرد على القيود المفروضة عليه من قبل محيطه وتحداهم وأعلن عن حبه.

أ-6 الاغتراب في الشعر الأموي:

ويجبل الشعر الأموي بدوره يصور الاغتراب النفسي المكاني، هذا اللون من الاغتراب الذي يتداخل في سياقات شعرية كثيرة مع الغربة المكانية، فالفرزدق مثلاً انكفاً على نفسه من فرط شوقه إلى مكان ألفتة، وأهله وعشيرته²:

وليلةً بئنا ديرًا حسانَ تبّهت هجوداً وعيساً كالحسيان ضمراً
بكت ناقتي ليلاً فهاج بكأوهها فؤاداً إلى أهل الوريعة أضوراً
وحنت حيناً منكرًا هيّجت به على ذي هوى من شوقه ما تنكراً³

¹ توبة بن الحمير، الديوان، تحقيق: إبراهيم الخليل، دار صادر، بيروت، ط1، 1998، ص55.

² د. حسن لشقر، الاغتراب في الشعر العربي، من عتبات الألم إلى احتراف الذات، مطبعة ورقة بلال، ط1، 2015، ص30.

³ شرح ديوان الفرزدق: جمع وتعليق عبد الله الصاوي، مطبعة الصاوي، ط1، القاهرة، 1936، 421/2.

إضافة إلى هذا نلتمس في العصر الأموي انتشار ظاهرة الاغتراب في الشعر العاطفي، وذلك من خلال الغزل العذري، الذي شاع في هذه الفترة، فالشاعر العذري يتحدى المجتمع في إبراز حبه وإشهاره، ويرفض قيود المجتمع. ومن نماذج ذلك ما نجده في شعر قيس بن الملوح (مجنون ليلى)، الذي كان يحس ألم التمزق والتيه والفقدان والضياع النابع من فرط الصباية والحب وانقطاع الصلة بالحبيبة أو العشيقة¹ إذ يقول:

أنا الوامقُ المشغوفُ واللَّهُ ناصري
أنا الناحلُ المهومُ والقائمُ الذي
أظللُ بحزنٍ دائمٍ وتحسُّرٍ
فحتّامَ يا ليلى فؤادي مُعدَّبٌ بـ

وَمُنْتَقِمِي مِمَّنْ يَجُورُ وَيَظْلِمُ
أُرَاعِي الثُّرَيَّا وَالْحَلِيُونَ نُومُ
وَأَشْرَبُ كَأَسَا فِيهِ سُمٌّ وَعَلَقَمُ
رُوحِي تَقْضِي مَا تُحِبُّ وَتَحْكُمُ.²

وفي مثل هذا السياق تنطوي الكثير من الأشعار التي تحمل لون الاغتراب النفسي والعاطفي، الذي بسببه ألم العشق والشوق والحنين والشعور بالضياع أو التيه.

7- الألم في الشعر العباسي:

بسبب تغير رزنامة الحياة في العصر العباسي، شاعت الفوضى والاضطراب النفسي، مما أدى إلى زهدهم في الحياة وتركها بكل لذاتها والخوف من الله وتقرب إليه والتعلق بالآخرة. يقول المتنبي بعد أن أدرك أن الموت ضرب من القتل:

إذا ما تأملتَ الزمانَ وصرفهُ
وما الدهرُ أهلٌ أن تُؤمَلَ عندهُ
تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرْبٌ مِنَ الْقَتْلِ
حَيَاةً وَأَنْ يُشْتاقَ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ.³

يرى الشاعر أن الموت عتبه من عتبات الألم، وأن الحياة لن تدوم إلى أحد، وأن آفة الانقضاء هي التي أفسدت الحياة ولأن الموت قدر يقوم في أي لحظة شاء، فعلى الإنسان أن يبادر باهلاك حياته في ما يجب⁴.

¹ د. حسن لشقر، الاغتراب في الشعر العربي، من عتبات الألم إلى أى احتراف الذات، مطبعة ورقة بلال، ط1، 2015، ص30-31.

² قيس بن الملوح (مجنون ليلى): جمع وتحقيق: عبد الستار فراج، مكتبة نصر (القاهرة)، ط1، 1979، ص126.

³ أبو الطيب المتنبي، ديوان المتنبي، مطبعة عبد الرحمان البرقوقي، ج4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986، ص281.

⁴ د. سعد حسون العنكي، الشعر الجاهلي دراسة في تأويلاته النفسية والفنية، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007، ص262.

أ-8 الاغتراب في الشعر العباسي:

شهد العصر العباسي العديد من التغيرات السياسية والتحويلات الاجتماعية التي جعلت بعض الشعراء لا يستطيعون التعايش مع الواقع الاجتماعي والتأقلم فيه، مما أدى إلى عزلة بعض أفراد المجتمع بما فيهم الشعراء، وهذا ما تجسد في قصائدهم التي كانت تفيض بألم التمزق والتهيه من فرط الاغتراب. يقول الباحثي:

ولو أنصفتني يسراً من وراء لم أكن إلى العيش، من أبطانها أتظلم
لقد خاب فيها جاهدٌ، وهو ناطق وأعطي منها وادع وهو مفحم¹.

قد يتداخل الاغتراب النفسي المكاني في الشعر العباسي بالاغتراب الفكري وكذا العقدي عند بعض الشعراء، بحيث لم يكن الإحساس بالاغتراب عند الشاعر العباسي ناجماً بالأساس عن النزوح عن الأصل، بل على أمور أخرى فكرية وعقيدية أيضاً، تدفع الذات الشاعرة إلى الانقطاع عن المكان الألفة، والارتقاء إلى عوالم روحانية تسبح فيها الذات الشاعرة في ملكوت الغيب، على نحو ما نجد عند الحلاج وأبي العتاهية وشريف الرضي وغيرهم من شعراء التصوف وكذا شعراء الزهاد².

ب- حضور الألم والاغتراب في الشعر العربي الحديث:

إنّ أبرز المضامين الشعرية المعاصرة، تحمل نبرة الألم والاغتراب والحزن والأسى، التي تناولها أغلب الشعراء المحدثين في دواوينهم تأثراً بالنزعة الرومانسية الغربية، وبالظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتغيرة، التي أملت بالأمة العربية بعد الحرب العالمية الثانية³، فجاءت أشعارهم حزينة معبرة عن الصرخة التي تنبع من أعماق الألم والاغتراب والحزن الحاد، تزرع في نفوسهم الكآبة والتوتر والشعور بالوحدة والغربة، حيث أخذت هذه الملامح الشعورية تظهر بصورة عميقة في النصوص الشعرية المعاصرة.

¹ الباحثي، الديوان، شرح وتعليق: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1414، 1077/2.

² د. حسن لشقر، الاغتراب في الشعر العربي، من عتبات الألم إلى احتراف الذات، مطبعة ورقة بلال، ط1، 2015، ص33.

³ ضيف شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف القاهرة، ط6، 1975، ص60-61.

ب-1 الألم في الشعر المهجري:

إنّ الشعور بالألم والمعاناة لدى شعراء المهجر، سببه البعد عن الوطن والأهل والخلاّان، والحنين والشوق إليهم، الذين اضطروا لمفارتهم مرغمين لا مخيرين، وهذا الشاعر "القروي" الذي تألم كثيراً على بعده عن وطنه، وزاده تألماً تعذيب النفس له بسبب شوقها إلى العودة والحنين إلى الديار يقول:

حتم أحيا غريب	مالي وطن
يا يوم وصل الحبيب	أنت الزمن
دهر بقلبي رمى	سهم النوى
يكويه ربي كما	قلبي كوى
هيئات تغير الحمى	مالي دوا ¹ .

- وقد أنشد الشاعر المهجري نغمات وآهات تفيض عذوبة وغربة وإحساساً بالآلم، ومن ذلك الشاعر "إلياس فرحات" يقول في إحدى قصائده:

ولعل أكبر ما يليث به نوى	آنست فيها كل قفر بلقع
مغترب عن موطني مغترب	عن عشرتي متغرب عن مرعي
اليوم أعرف مضجعي وغداً فلا	أحد من الثقلين يعرف مضجعي
يقضي أحبائي فما أدري بهم	وسيجهل الأحياء منهم مصرعي ² .

إنّ الاغتراب الذي طال أمدّه جعل الشاعر يعبر عنه عبر آهات من الحنين وكثير من الألم والحرقّة.

ب-2 الاغتراب في الشعر المهجري:

برزت ظاهرة الاغتراب عند شعراء المهجر، بشكل عميق ولافت للانتباه وقد عبّر شعراء المهجر عن حنينهم وشوقهم لأوطانهم وأهاليهم الذين اضطروا لمفارتهم بسبب الظروف والأحداث التي أجبرتهم على الهجرة، منهم الشاعر "إيليا أبو ماضي" يقول:

¹ الشاعر القروي، رسيد سليم الخوري، الأعمال الكاملة، جروس برس، طرابلس، لبنان، 1983، ص255.

² عيسى الناعوري، إلياس فرحات، شاعر العروبة في المهجر، المطبعة الوطنية، عمان، الأردن، ط1، 1956، ص59.

بئس المدينة إنها سجن النّهى

وذوي النّهى وجهنم الأحرار¹.

لقد عاش شعراء المهجر اغترابًا مكانيًا كبيرًا، إذ تراءى لهم المكان (في مفاهيم الاختياري) في صورة جحيم يحرق الحرية والمتطلعين إليها، بل في صورة مدينة منبوذة رسمت حدودها المنافع والأغراض، فأصبحت سجنًا كبيرًا رغم أبوابها المشرعة للجميع، لذوي النّهى وجهنم الأحرار، على حد تعبير إيليا أبي ماضي في قصيدته "أم القرى"².

ولم يجد الشاعر مهربًا من واقعه المرير، المثقل بالهموم إلا قلمه وشعره، لينشر من خلاله ما يختلج في نفسه من شعور بالأسى والحنين. يقول جورج صيدح:

يا ربي هونها على الغرباء	أيعود للوطن الغريب النائي
والعام يتلو العام دون لقاءٍ	حتى متى يبرى الحنين صدورهم
عهدًا لأنفسهم بطول بقاء ³ .	وكأنهم أخذوا على طول النوى

لم يجد الشاعر المهاجر في أرض الغربة ما كان يأمل أن يجده من هدوء وأمن واستقرار، بل وجد الألم والعذاب والتشرد والضياع فألمته الحسرة على قضاء أيامه مغتربًا متألمًا أرهقه اللّهث وراء الأحلام التي لم يتحقق منها شيء، فكان اغترابه هذا شعور بالسوداوية والتيه والضياع، فأصبحت حياته سلسلة من الشقاء والمأساة، حيث "صار الإنسان جزرًا من العالم الذي يعصُّ بما يبعث القلق والضجر ويحاول أن يجد مكانًا لذاته يجد نفسه في صدام مع العالم ومع منظومات وآلياته مع حقائقه التي لم تكشف بعد"⁴.

¹ إيليا أبو ماضي، الديوان، دار العودة، بيروت، ط1، ص406.

² د. حسن لشقر، الاغتراب في الشعر العربي، من عتبات الألم إلى احتراف الذات، مطبعة وراقة بلال، ط1، 2015، ص46.

³ عزيزة مريدن، الشعر القومي في المهجر الجنوبي، دار الفكر، ط2، 1973، ص71.

⁴ رمضان الصباخ، في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1998، ص103.

ب-3 الألم عند شعراء مدرسة الإحياء:

إنّ الشعور بالألم كان حاضرًا في شعر الإحيائيين، خاصة لدى الشعراء الذين ذاقوا مرارة المنفى والوحدة والقهر في بلاد الغربية، وقد جعل المنفى الشاعر يجول في جنبات الألم والأسى والمعاناة، ففجر لنا شعورًا متدفقًا من مرارة العيش في كنف الظلام، والإحساس الشديد بالآلام والحرقه.

يقول سامي البارودي:

ولما وقفنا للوداع ، وأسبَلتْ	مدامعنا فوق الترائب كالمزن
أهبتُ بصبري أن يعودَ ، فعزني	وناديت حلمي أن يثوب فلم يُعِنِ
ولم تَمُضِ إلا خَطْرَةً ، ثم أقلعت	بنا عن شطوط الحي أجنحة السُّفُنِ
فكم مُهَجَّةٍ من زُفْرَةِ الوجدِ في لظى	وكم مِنْ غزرة الدمع في دَجْنِ
وما كنتُ جربتُ النوى قبل هذه	فلما دهتني كِدْتُ أقضي من الحزن ¹ .

- كما عانى أحمد شوقي مرارة المنفى سنوات، وتحمل فيها ألم البعد عن الأهل والخلان، حيث أجبر على الصبر والتحمل، فعبر ذلك في قصيدته قائلاً:

جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا	في النائبات فلم يأخذ بأيدينا
وما غلبنا على دمع ولا جلد	حتى أتتنا نواكم من صياصينا
ونابغي كأن الحشر آخره	تميتنا فيه ذكراكم وتحيينا ² .

- فالهموم الكثيرة التي يعانيتها الشاعر سببت له ألماً شديداً في قلبه، حتى أنّ الدمع تحجر في مقلتيه، فلم يستطع التحمل والصبر على الفراق والبعد.

¹ محمود سامي البارودي، الديوان، تحقيق: على الجارم ومحمد شفيق مصروف، دار العودة، بيروت، 1998، ص626.

² أحمد شوقي، الديوان (الشوقيات)، تحقيق: محمد فوزي حمزة، الطبعة الثانية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2012، ص280.

ب-4 الاغتراب عند شعراء مدرسة الإحياء:

لقد اقترنت ظاهرة الاغتراب عند شعراء مدرسة الإحياء، بالعزف على أوتار الحنين والتغني بملاعب الطفولة والصباء، والشوق إلى الأهل والأحبة وحرقة الحنين إليهم، دون اختلاف بينهم وبين الشعراء القدامى. ويزداد لهيب نيران الغربة عندما يقترن الحنين بالإحساس بالظلم والقهر لدى الشعراء الذين عانوا مرارة المنفى، وعلى رأسهم "البارودي" زعيم مدرسة الإحياء، حين نفاه المستعمر الانجليزي، حيث كتب أشعار من وحي تجربته المريرة، التي فجرت ينباع الشعر الصافي في أعماق البارودي، فكانت تلك الينابيع مركز انتقال من النظم التقليدي إلى الإبداع الفني الذي يُعد الجوهر الإنساني والصدق النفسي والفني من شروطه الأولية.

يقول البارودي:

أَظَلُّ فِيهَا غَرِيبَ الدَّارِ مُبْتَسِئاً نابي المضاجع من همٍّ وأوجاع
لا في سرنديبٍ خلٌّ أستعينُ به على الهُمومِ إذا هاجتُ، ولأ راعي
يَظُنُّني من يراني ضاحكاً جَدِلاً أني خلى وهمي بين أضلاعي¹.

إن ما يعاينه البارودي من معاناة تدل على مرارة اغترابه، فالبعد عن الوطن وغربة النفي عنه وجع قاسي، حيث يذوق فيها مرارة الأسي، وحرقة الشوق والحنين إلى الأهل والخلان، لهذا جاءت أشعاره مثقلة بألم الاغتراب والحنين إلى الوطن.

وفي مثل هذا السياق، مرَّ أحمد شوقي بتجربة النفي والاستبداد، فعاش حياته متألماً متحسراً ووحيداً بعيداً عن وطنه، وهي التجربة التي غيرت نظرتة إلى الحياة، فكانت أشعاره تصرخ من ولع الشوق والحنين للوطن.

يقول أحمد شوقي:

وسَلا مِصْرَ هَلْ سَلا القَلْبُ عَنها أو أسا جُرْحَهُ الزَّمانُ المؤسِّي
كُلَّمَا مَرَّتِ اللَّيالي عَلَيه رَقَّ وَالعَهْدُ في اللَّيالي تُقسِّي
مُسْتَطَارٌ إذا البَواخِرُ أوَّل الد يَل أو عَوَتْ بَعْدَ جَرَسِ².

¹ محمود سامي البارودي، الديوان، تحقيق: علي الجارم ومحمد شفيق مصروف، دار العودة، بيروت، 1998، ص626.

² أحمد شوقي، الديوان (الشوقيات)، تحقيق: محمد فوزي حمزة، الطبعة الثانية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2012، ص384..

لقد سيطرت ظاهرة الاغتراب في شعر أحمد شعري، عندما اشتعلت بداخله نار الشوق إلى الوطن والحنين له، وقد أخذت نصيباً كبيراً من أشعاره، وكادت تفيض بتيمة الأسى والحزن فيها، عندما اكتوى قلبه بنار البعد وألم الغربة.

ب-5 الألم عند شعراء جماعة الديوان:

إنّ حضور الألم في شعر مدرسة الديوان نابع من شعور وجداني، وحالة نفسية أليمة جعلت الشاعر يقطر حبره كآبة وحزناً، ولأن مفهوم الشعر عندهم يتمثل في التعبير عن النفس الإنسانية في فرديتها وتميزها، غلب على شعرهم الألم والأسى، وهذا عبد الرحمان شكري يقول:

حياتي أمّا للنحس حدٌ ولا مدى فإني كرهت العيش في أول الصّبا
كأني ربيب النحس ليس يجورني فيا شر ما راع يجور إذا رعى¹
فيا موت أقبل لا كإقبال رائع مريراً كطعم العيش يؤلم من حسا².

لم يجد شكري ما يخلصه من هذه الحياة القاسية ومن ألم الغربة المرة إلا الموت، ليستريح من العناء والعذاب الذي يؤرقه.

يقول أيضاً:

أعز صديق في الحفاء يكيديني وأصدق صحبي في الوداد يمين
وكل فؤاد في المحبة كاذب ولكل قلبي في هواك أمين
ومن يصحب الأيام من بعد خبرة يقل لديه تـافه وثمين³.

إن هذه النظرة المأساوية لدى الشاعر كان مردها خيبة الأصدقاء والأقربون، جعلته يبخس الغالي والرخيص، لأنه لا صدق في القلوب.

¹ الديوان، جمعه وحققه: نقولا يوسف، مراجعة وتقديم: فاروق شوشة، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص145.

² الديوان، جمعه وحققه: نقولا يوسف، ص145.

³ عبد الرحمان شكري، الديوان، توزيع دار المعارف، الاسكندرية، جمع وتحقيق: نقولا يوسف، 1960، ج3، ص212.

ب-6 الاغتراب عند شعراء جماعة الديوان:

إنّ معاناة الاغتراب التي عاشها شعراء جماعة الديوان إنما هي معاناة الإنسان الواعي بمأساة عصره وموقعه من العالم الذي يتفاعل معه وإن الغربة التي يعيشها ليست بسبب البحث عن لقمة العيش، بقدر ما هي بسبب البحث عن التوازن والانسجام بين ما يحمل من مبادئ وقيم وبين محيط لا يعير أهمية لذلك، ومن هنا تبدو معاناتهم وأحزانهم واضحة في أشعارهم. يقول عباس محمود العقاد:

مولدي يوم شقائي	مات في المهدي رجائي
ليس في قلبي عزاءٌ	أين في الدنيا عزائي!
أحسب البدر ظلامًا	وهو مصباح السماء
لاح في الأفقي وحيدًا	ومن الوحدة دائي
كم أراي النور حزناً	كان في طي الخفاء ¹ .

ويقول عبد الرحمان شكري الذي عرف بنظرته التشاؤمية التي انعكست في ما يكتبه وينظمه في الشعر:

أظل غريبًا بين أهلي ومعشري	وكم أشيب في قومه كغريب
وأصبح كلاً في العبرة مقعدًا	يقتر رزقي أو يملّ قربي
وأصبح منسيا وإن كنت شاهداً	كأني خفي الجسم وقريب
فزربي في ليل الشباب كسارق	ولا تنتظر يا موت ذل مشي ² .

إنّ هذا الشعور أوصل الشاعر إلى حالة من اليأس والحزن لعدم تحقيق آماله، بل إلى حالة الخوف والفرع حتى من أهله واجتمع لعدم الثقة فيهم.

¹ عباس محمود العقاد، عابر سبيل، نغمة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، مارس 2005، ص54.

² عبد الرحمان شكري، الديوان، توزيع دار المعارف، الاسكندرية، جمع وتحقيق نقولا يوسف، ج5، 1960، ص418.

ب-7 الألم عند شعراء جماعة أبولو:

لقد غلبت ملامح الألم والحزن عند جماعة أبولو بكثرة بسبب واقعهم الأليم، وحياتهم القاسية، لهذا عزفت قصائدهم على أوتار الألم والأسى والكآبة، ويعد أبو القاسم الشابي من بين الشعراء الذين عاشوا هذه المرحلة، حيث كانت جلّ كتاباته الشعرية مفعمة بالإحساس المرهف. يقول في قصيدة "يا موت":

يا موتُ قد مزَّقتَ صدري	وقصمتَ بالأرزاءِ ظَهري
وفجعتني فيمن أحبُّ	ومنْ إليه أُبثُّ سرِّي
ورزأتني في عمدي	ومشورتي في كل أمرٍ
وهدمت صراحاً لا ألوذ	بغيره ، وهتكت سرِّ
وفقدت كفاً في الحياة	تصدُّ عني كل شرٍّ ¹ .

عكست هذه الأبيات نبرة الألم الحاد والحزن الشديد لدى الشاعر بسبب الظروف التي عاشها، منها مرضه، وفقدان والده الذي ترك في حياته فراغ كبير، لهذا كانت نظرتة للحياة فججاً من الجحيم وجبالاً من الهموم وضباباً من الألم².

ب-8 الاغتراب عند جماعة أبولو:

لقد انتشرت ظاهرة الاغتراب وانعكست في الأدب العامة، وكانت في أدب الرومانسيين أشد انعكاساً، خاصة عند شعراء جماعة أبولو، وقد شاعت هذه الظاهرة في معظم قصائدهم وذلك لأسباب كثيرة قد تختلف من شاعر لآخر، ويعد الشاعر إبراهيم ناجي من بين الشعراء الذين عاشوا هذه الظاهرة في بلاده، عندما طغى عليها تسلط الحكام وجبروتهم مما زرع في قلبه الشعور بالاغتراب والخيبة وهو في بلاده. يقول:

يا قاسي القلب كيف تبتعد	إني غريب الديار منفرد
إنْ خانني اليوم فيك قلت غداً	وأين مني ومن لقاك غدُ
إنَّ غداً هُوَّةٌ لنـَـظـَـرها	تكاد فيك الظنون ترتعدُ ³ .

¹ أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، الدار التونسية للنشر، تونس، ص140.

² محمد زكي العشماوي، الأدب وقيمة الحياة المعاصرة، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، ص110.

³ إبراهيم ناجي، الديوان، دار العودة، بيروت، 1986، ص149.

وكغيرهم من الشعراء، فقد تميزت قصائد "جماعة أبولو" بطابع المرارة والأسى والشعور بالوحدة القاسية المرتبطة بالظلم التي زادتهم تيه وضياعاً.

ب-9 الألم في الشعر المعاصر:

تجسد الألم في الشعر المعاصر وتوالت صورته التشاؤمية والسوداوية التي طغت على قصائده، يقول عبد الحميد بشوات في صف حالته النفسية الممزقة سبب فشله في تحقيق آماله وأحلامه مما جعل اليأس يعصف بنفسه ويطيح بها في متاهات الغربة:

ممزق أنا... محطم... مخذولٌ

في جوك المسحور يا مدينة...

ينهشني الألم

يجتريني السأم

لا أعرف الهدوء والسكينة¹.

إن الشاعر في هذه الأبيات مسكون بأحزان ممتدة متلاحقة لا تنتهي إنها أحزان موجعة ليس فيها إلا الإعياء والألم، نفسية الشاعر الشجية المتعبة التي تقطر بالألم، وتفويض بالتيه والتمزق لم تعرف الهدوء ولا السكينة.

ب-10 الاغتراب في الشعر المعاصر:

تطورت ظاهرة الاغتراب شكلاً ومضموناً وواقعاً في الشعر العربي الحديث و المعاصر، خاصة مع نضج "شعر التفعيلة" الذي اصطدم مع النكبة الفلسطينية "1948" وما أعقبها من هزائم وانتصارات وكان الإحساس بالاغتراب عند شعراء العرب نتيجة تأثرهم بأعمال بعض الشعراء الغربيين أمثال "توماس إليوت" وكذا بعض النقاد خاصة "كولن ويلسون"، الذي أشاعت كتابته عن "اللا منتهي" موجة عارمة من القلق والسأم والضجر لدى الشباب العربي بصفة عامة²، إضافة إلى هذا تأثر الثقافة العربية بالثقافة الغربية فكان من

¹ عبد الحميد باشوات، زمن الرحيل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص65.

² ينظر: في هذا الصدد دكتور عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ظواهره الفنية والمعنوية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967، ص356.

البديهي أن يولد صدام أفكار شعور بأسى وحسرة، وحقيقة أن الإحساس بالاغتراب لدى ذات الشاعرة، المتولد فيما ذكرنا سابقا، بل تنضاف إلى ذلك نعمة أخرى تجد جذورها في تربة واقعنا العربي المتهدم بعد النكبة، الذي تحول إلى "أرض يباب"، بل إلى "واقع محطم يتيم فيه الأسى على كل شيء" بتعبير الشاعر عبد الوهاب البياتي¹. علاوة على هذا تأزم الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية، أصبح الشاعر في هذا الواقع المثخن بالجراح يحس باغتراب في ذاته نفسها فتولد عليه اغتراب مزدوج داخلي "نفسي" وخارجي "مرتبط بالمكان".

- تقول فدوى طوقان في أبيات تشتكي فيها غربتها عندما أجبروها أهلها للخضوع لمنظومة القيم الاجتماعية البائدة التي تحكم أسرتها:

سرت وحدي في غربة العمر، في التيه المعمي، تيه الحياة السحيق

لا أرى غاية لسيري... ولا أبصر قصدا يوفي.. اليه طريقي

ملل في صميم روعي ينساب، وفيض من الظلام الدفوق

وأنا في توحشي، تنفض الحيرة حولي أشباح رعب مخيف

سرت وحدي، في التيه، لا قلب يهتز صدى خفته بقلبي الوحيد².

إنّ الشعور بالاغتراب لدى الشاعرة ناجم أساساً على عدم القدرة على التكيف مع العرف الاجتماعي الذي كان سائداً في بلادها (فلسطين)، مما جعلها تشعر بالغربة حتى وهي بين أفراد عائلتها.

¹ عبد الوهاب البياتي، تجرّبي الشعرية، مجلة الآداب، بيروت، مارس 1966.

² فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1993، ص51.

الفصل الثاني

صور الألم والاعتراب في شعر عثمان لوصيف

1- حضور الألم والاعتراب في شعر عثمان لوصيف

أ- صور الألم في شعر عثمان لوصيف

ب- صور الاعتراب في شعر عثمان لوصيف

2- جمالية الاشتغال تيمة الألم والاعتراب

أ- جمالية الاشتغال الإيقاعي

أ-1 الوزن

أ-2 التكرار

ب- جمالية الاشتغال التخيلي

ب-1 الرمز

ب-2 الصورة الشعرية

1- حضور الألم والاغتراب في شعر عثمان لوصيف:

أ- صور الألم في شعر عثمان لوصيف:

يشكل الألم والحزن ملمحًا شعريًا في كثير من إبداعات الشعراء يلفت انتباه القراء، وربما تكمن علة ذلك في طبيعة الحياة ذاتها وفي ظروف العصر المرتخن بالفجائع الإنسانية، تولد عنها سأم وكأبة وفقدان للأمل، اضطرابات نفسية وأخرى جسدية، كلها ملأت نفس الشاعر الحزينة الكثيبة، وقد بدا ذلك واضحًا في شعر عثمان لوصيف، حيث عبّر عنه بكل جوارحه وإبداعاته الشعرية.

يقول الشاعر في أبيات مستسلماً لآهات الألم والأسى:

أجلس للمأساة وحيداً

أشرب نخب الهزائم

وحيداً...أسند حلمي إلى الشظايا وأسأل:

من الساحرة في الفجائع والانهيارات¹.

فالشاعر يتألم نفسياً إزاء غرته، تتداخل لديه انفعالات القلق والاضطرابات والإحباط، فهي مشاعر متداخلة ومعقدة يحاول الخلاص المؤقت، مما ألمّ به من حزن وأسى.

وفي موضع آخر يندب الشاعر حظه ويكي مصيره:

محترق...وأفق قد كفنه الصدى

وفي عيوني بات يغلي الطيف والحمأ

محترف...واللهف والنيران والظماً

من ذا يجير العاشق الوهان

في مهمة العطش

ومن يغيث الضائع الهيمان²

¹ عثمان لوصيف، براءة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص31.

² عثمان لوصيف، الارهاصات، ص25.

ومن يظفي النيران

ومن يعيد النور والزهور والغيش¹.

يشعرنا هذا المقطع بوخز الألم في نفس الشاعر واضطراب ذاته، ويبلغ به الحال أن يطالب للنجاة من

فرط الاحتراق ووخزات الألم الذي يبلغ به حالة الانكسار:

آه يا نار الجرح!

ويا جوع المزمار

مكسور أنت هنا...مكسور².

فالقارئ هنا يجد أنّ هذا المقطع من شعر نبت في تربة الألم، وتمايلت أغصانه في ظلمة الهموم والأوجاع

التي أصبحت الظل الدائم الذي يرافق الشاعر في حياته.

- ولا يجد الشاعر ملاذًا وشفاءًا من تلك الحالة، إلا أنّ يجنح في عوالم التصوف، متمرغًا في محاربه طالبًا

التطهر لروحه، واغتسالًا لقلبه من أدران الحياة، يقول لوصيف:

آه! دعيني أمرغ فيك همومي

وأغسل قلبي وأوردتي

آه! دعيني أعانق في مائك اسمي الحقيقي

معنای...روحي...وجوهر كينونتي

يا يد الله...يا يداها

ضمدي جرحي النازف³.

فالانغماس في العوالم الروحية الصوفية هو طريق الشفاء من آلامه وجروحه.

¹ عثمان لوصيف، الارهاصات، ص25

² عثمان لوصيف، نمش وهديل، ص50-51.

³ عثمان لوصيف، براءة، ص62.

وفي أبيات غلب عليها جوٌّ من الحزن والألم، يقول الشاعر:

قلبي جريح

ودموع أحداقي تفيض

قولوا لها إني مريض

متأجج الزفرات

وطويلة...مبحوحة آهاتي¹.

فمشاعر الهواء والحنين بعدما أضاءت حياة الشاعر اختفت فجأة في صباح جاء عليه ليل قاتم السواد، لتتحول إلى مشاعر البكاء على الحب المفقود، وحبيب يوارى في ثراء بعد أن كان هو الحياة، لهذا تجمعت مأساته وكونت مآتم حب لقلب صار وحيداً متأوهاً طويل الزفرات.

يقول الشاعر:

آه...لو تدرك ما بي!

كم تمزقت على الأشواك في عصف الرياح

وتقلبت على الجمر وآلام الجراح

كم تحرقت لربّنا وجنتيها

وحميا شفتيها

آه من نظرتها!

آه من ضحكتها!

آه منها!

كم تلهفت...تلهفت عليها!².

¹ عثمان لوصيف، الارهاصات، ص75.

² المصدر نفسه، ص76.

- وكثير ما يعبر الشاعر لوصيف عن الضجر الذي يحاصره، يقول:

آه يا صاحبي!
مقعد في مهب الأذى
نبتغي أفقاً
فتصيبك ريح القذى
ويحاصرك العنكبوت
بأسواكيه¹.

يستوقفنا في هذه الأبيات التأوه الألم الذي اعتصر الشاعر والسوداوية التي استبدت به، أغشت نفسه فكان لا بد من لحظة انفجار ولا بد لتلك اللحظة من سرعة يستطيع بها إفراغ المشحونات الكئيبة من قلب الشاعر، علّه تضع عليه بعض مآسي حياته.

لقد سأم الشاعر من الحياة وتضجر من لياليها، وغرق في وادي الأسي والجحيم والعذاب، لذلك نجده يفر من عالم الحياة الفجيع بمآسيه:

دمي يشرب النار، وروحي تطير من أثوابي
صوتي البرق، والتباريح أكوابي
وسر المجهول سر اكتئابي
أين يمضي بي التهابي؟
وأين المنتهى... أين آخر الأبواب؟

خلني للضياع، للخوف، للسحر وللموت خارج الأحقاب².

لقد انفصمت الذات الشاعر في غمرة الكأبة وتفرقت روحه عن جسده، فكأنه غريب عنها لا يعاني معاناتها ولا يقاسي ويلاتها، لذلك تحاصره أسئلة التي لا يجد لها جواباً فتضاعف من إحساسه بالألم، ويسلم نفسه لضياع وللخوف وللبحر، وللموت خارج الأحقاب.

¹ عثمان لوصيف، نمش وهديل، ص 63-64.

² عثمان لوصيف، براءة، ص 42-43.

وفي قول الشاعر:

أنا قلبي يموت

مع الزهر المتمزق في العاصفات

نبضة...

غير أنّ البكاء

بات يسطيع في الظلماء

دمعة...

دمعة...¹

فالكأبة التي يتسربل بها شعره لم تزده إلا شفاءً وألمًا، تضمحل فيه لذة القلب، وتمحى الأحزان أمانيه، فالقلب يموت في الزهر المتمزق في النبضات نبضة والبكاء يسطع في الظلمات دمعة دمعة. إن بواعث الألم والأسى التي تتجلى في كل قصيدة من قصائد عثمان لوصيف، ليست في الحرمان ولا في الحب الضائع ولا في فكرة الموت إنما هو حزن فكري نشأ عن تفكير الحياة والموت من جهة والتأمل في أحوال الإنسانية من جهة أخرى، ثم انتقلت هذه التأملات إلى المستوى الحسي فحفرت في القلب جروحًا لا تندمل وأخذت تتدفق آهات وأحزانًا. يقول الشاعر في قصيدة "الأحزان":

الليل هنا غابة الأشباح

تتفجر آنات وجراح

ونجيجا يأتي من أقصى الوديان

والمدن تفلها الوحشة

والجهمته...والرعيشة²

¹ عثمان لوصيف، شبق الياسمين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص29.

² عثمان لوصيف، الارهاصات، ص43.

وتعريد فيها أسرار الغربان

أنا مزلت هنا سهران

تتناهشني النيران

أحزان...

أحزان...¹.

لقد أباتت هذه الأبيات الصدق في الإحساس، لأن الشاعر استطاع أن يشاركنا بهذا الإحساس في فهم الوضع الإنساني المحطم الذي يعيشه، فقارئ هذا المقطع لا يحس إلا بصدى الألم والمأساة العميقة التي يغشى النفس وتصيبها بالتأثر، فهذا البوح الموجه الحزين لم يفلح في تبديد ليل الحزن والأسى الذي ظل يطارده كل ليلة.

وحب الشاعر لفلسطين وشعبها يدفعه إلى التأم، يقول عثمان لوصيف:

فلسطين قلبي

جوعها في مفاصلي

ينادي

تثيران لهفتي

هي زهرة البيضاء

تنزف بينهم

وهم يعجنون النفط

في شكل زهرة².

إن تعلق الشاعر بفلسطين وخوف على مصيرها زاد من أوجاع الشاعر وآلامه، وهذا ما لفظت به شفاه صرخت واعتصر به قلبه حرقه مدمرة، فالشاعر إما غارق في آلامه وأحزانه، وإما طواقاً في ليل اليتامى، مقتحمًا المأسى والظلاما وخائضًا في بحر الحداد، يقول:

¹ عثمان لوصيف، الارهاصات، ص43-44.

² عثمان لوصيف، شبق الياسمين، ص121.

كم أنا طوفت في ليل اليتامى
وتقحمت المآسي والظلاما
كم أنا خوضت في بحر الحداد
وتفأت بساتينا الرماد¹.

إنّ هذا الألم وليد الإحساس المرهف الذي دفنه في قلبه وسكبه في شعره تضامناً مع الشعب الفلسطيني الذي تألم لحاله، يقول:

أقسمت أن نبخر في المأتم
نحوك يا أسطورة الأعماق
يا جنتنا اليتيمة!
نحو ثمارك التي تعقدها الغمام
في رحم الهزيمة².

ويمتزج أمل الشاعر بألمه في علاقته بفلسطين، فالشاعر يبدي أملاً وحزماً في خلاص فلسطين، لكنه أمل محاط بألم وأحزان في ظل المأتم تلعب بالشعب الفلسطيني والانكسارات التي عكرت صفوة ذلك الأمل. ولكن الشاعر لم يستلم لأحزانه وآلامه، فحاول زرع روح التحدي وكفاح في نفوس الشعب، فصرخ فيه، أن أفتح عينيك على المستقبل وسر في مركب الحياة واستنهاض للقوة وردع لتخاذل. يقول لوصيف:

كم تسربلت أعاصير الجنون
وتمزغت على جمر المنون
ثم حين اكتمت زنبقت العشق³
بعينيك... نهضت
وعلى جرح المواويل مشيت⁴.

¹ عثمان لوصيف، الارهاصات، ص41.

² عثمان لوصيف، شبق الياسمين، ص21.

³ المصدر نفسه، ص74.

⁴ عثمان لوصيف، الارهاصات، ص42.

فالشاعر شمعة تحترق لتضيء لسائرين مسالك المجد في الحياة وهو الذي بحث في الوجود عن أسباب سعادة شعب قهره ذل حاله وأدمن قلبه استسلامه، فنهض مكافحاً رغم الآلام ورغم جرح الموابيل يزرع الأرض بنور المعجزات.

إنّ شعور الألم الذي مزق قلب الشاعر لما عاشه من تيه وتمزق في هذه الأرض التي كانت بكل عناصرها وكائناتها توحى له بالضيق والانغلاق والظلمة، بدل أن تكون موحية بالرحابة والاتساع. كل ذلك الألم ومشاعر الشجوة التي حطمت قلبه، لم تكن نتيجة حرمان أو حب صانع، وإنما هو نتاج حزن فكري جعل قلبه يتدفق آهات مبحوحة وزفرات طويلة. وفي مقطع آخر، تدفع الغربة الشاعر إلى الحديث عن الموت وهو حديث الذات المغتربة المتشردة المزحومة باليأس والمخنوقة بالألم، يقول الشاعر:

للموت وجه دافئ

وجه أليف ناعم

أجن من فراشة

يزونا في كل ليلة ولا ينسى

ويدخل البيوت المندسة

ما بيننا

يغمر الضياء والبشاشة¹.

ويقول في أبيات منتظر فيها الموت:

ها أنا... قادم من كهوف المرات²

والموت

مدّ يديك

افتح الباب

¹ عثمان لوصيف، شبق الياسمين، ص75.

² عثمان لوصيف، نمش وهديل، ص84.

إني... هنا أنتظر¹.

- فالموت أصبح أمنية ينتظر تحقيقها، بعدما عجز عن زحزحة صخرة الاغتراب عن صدر المتداعي.

ب- صور الاغتراب في شعر عثمان لوصيف:

إنّ مظاهر الحزن والقلق وفقدان التوازن الفكري والاجتماعي، هي تجليات مختلفة لمظاهر واحد وهو الاغتراب، فالمثقف العربي سواء عاش في ظل الاستعمار أو في ظل أنظمة مصادرة للحرية، يعاني كل أنواع الضياع، يفقد فيها إنسانيته، فيصبح عاجزاً عن التواصل ومع ذاته المعطلة. والشاعر عثمان لوصيف هو واحد من الشعراء الذين واجهوا صراعات مريرة، وتجلت مظاهر الاغتراب عنده بصور مختلفة مع الذات والواقع والمجتمع الذي يعيش فيه.

- شكّل الزمان عند الشاعر هاجسًا مهممًا على كيانه الشعوري، فهو ينسب إليه كل ما يحيط به من رزايا وما يصيبه من إخفاق وما يؤثر فيه من حرمان ومرارة وحسرة. يقول:

يا راعي القطيع

أبك على الربيع

لا عشب ولا نورة

في هذه الديار

هذا زمان العقم والخريف

والموت والتنزيف

وهذه المواشي

قد أوغلت²

في حلك البسابس العطاش³.

¹ عثمان لوصيف، نمش وهديل، ص 84.

² عثمان لوصيف، الارهاصات، ص 23.

³ عثمان لوصيف، الارهاصات، ص 23.

يشكو الشاعر عثمان لوصيف في هذه الأسطر قسوة الزمان ونوائب الأيام التي ضاعت فيها حياة المرح واللهو والبساطة والكرم، والربيع الذي يكسوه النوار والنباتات، وتجري فيه الأنعام والمواشي، ويمرح فيه الصبيان كالفراشات، وتحلو فيه مجالس السمر والأنس والخير، هذا الزمان عقيم في نظر الشاعر، فالواقع المؤلم تبدلت فيه الأحوال والمظاهر، فولد في نفس الشاعر شعورًا بالاغتراب والضيق، إنه زمن العقم والشقاء، وأنّ ما فات منه لا هو أتمن من ما بقى ولا أعلى مما ضاع.

يقول الشاعر:

ضيعت خيط الأنجم
ضاع الزمان من يدي
ضاعت يدي
صليت لو تسعفني الصلاة والبكاء
لو يسمع الدعاء
قمت على أنقاض أنقاض
أقرأ ما في طلسم الماضي
مفتشاً أرمدة السنين
ونابشاً في الوحل عن جوهرة اليقين
غلغلت في خرائط الضباب
زرعت أهدابي عن مدارج السحاب
أصخت للريح والعباب
والبحر يرعى نافخاً أبواقه ونايه¹
كأتما الطوفان قد أتى على الدنيا
سوى نفايه².

¹ المصدر نفسه، ص25.

² عثمان لوصيف، الارهاصات، ص25.

يبحث الشاعر في هذه القصيدة عن الزمن الضائع المنصر في هذا العالم المبني على الزيف والتصنع، فهو في ضيق دائم وقلق وتوتر، فالضيق الحاضر يرحل به إلى الماضي، الذي يمثل له حياة الهدوء والبساطة. والماضي الذي يهرب إليه الشاعر يعتقد فيه هدوء الحياة وصفائها، لعله يجد فيه ما ينتشله من ضياع وتيه.

وإذا كان الزمان عند الشاعر لوصيف مصدرًا من مصادر الإحساس بالاغتراب، فإن المكان يعمق ذلك الإحساس، فيكون شعور الاغتراب عنده أشدّ قسوة ومرارة وأسى، لأنه كان داخل وطنه وبين خلانه. يقول عثمان لوصيف:

منفي أنت... يحاصرك الرمل
 ويزاحم مضجعك النمل
 في سبخة هذه البلدة...
 حيث الموت... فلا نواراة ولا أزرار
 آه... يا نار الجراح!
 ويا جوع المزمار
 مكسور أنت هنا... مكسور
 صقر يتشوب
 لكن ليس يطير
 آه... يا زنبقة الأوجاء!¹
 آه... يا معجزة الإبداع!
 هل ينفي الشاعر في مسقط رأسه؟
 هل نار الحرف تضاعف من نحسه؟².

¹ عثمان لوصيف، نمش وهديل، ص50.

² عثمان لوصيف، نمش وهديل، ص50.

إنّ الشاعر محاصر بالاغتراب ويكاد اليأس يخنقه ويقضي عليه، وهذا الأمر وحده كافٍ لأن يشكل عنده بؤرة اغتراب عميق، يتدفق حزناً وفكراً متشائمًا، نتيجة المرارة والحبيبة وتوالي المحن والأزمات، التي جعلته يشعر بالاغتراب وهو في وطنه، لأن غربته لم تكن غربة جسد وإنما غربة روح. يقول:

لي بلاء

سماؤها في التراب

سماؤها يطير فوق السحاب

كم تنشقت نفعها

ثم صليت...

فكانت وكان ومضى الشهاب

وكم اشتقت نبعها¹.

جاءت هذه الأبيات مشحونة بعواطف الشوق والحنين إلى الوطن، وعلى الرغم أنه داخل وطنه الذي فقد فيه الدفء والرفق والحنان.

وفي موضع آخر يبحث فيه الشاعر عمّا يبعد عنه شبح الغربة داخل وطنه الذي أصبح ظلّه الذي يلازمه أينما كان:

إيه! يا زنبقة القلب ويا غنوة رقرقها ضوء القمر

ها أنا جئتك صباً ظامئاً أحمل الشمس وحيي والزهر²

في فمي أعرودة لحنها طيرك الشادي وغناها الشجر

فأحضنيني إنني محترق ومسحي عن جبهتي ملح السفر³.

إنّ الشاعر يتألم نفسياً إزاء غربته ويتداخل لديه انفعالات الشوق والحنين، وهي مشاعر تبدو متداخلة ومعقدة، يحاول من خلالها الخلاص المؤقت مما ألمّ به.

¹ عثمان لوصيف، شبق الياسمين، ص35.

² عثمان لوصيف، الارهاصات، ص34.

³ عثمان لوصيف، الارهاصات، ص34.

إذا كان شعراء غربة الجسد ينظرون إلى الطبيعة على أنها مأوى لهم، فإن شعراء الاغتراب الروحي يرون أن الطبيعة سبيلاً لسلام الإنسان مع ذاته، يرون فيها حياة جديدة ومبعث الأمل ومصدر إلهام لهم، فيتعمق لديهم حب الطبيعة والميل لها، والاعتزاز بها، ويتفانون في حبها فتزول وحشتهم وغريبتهم، ويشعرون بالانتماء إليها، والحرية في كنفها. يقول الشاعر:

الطبيعة... كل الطبيعة

معبد يتكوّر أو يختصر

آه! في امرأة تكتسي

أنجمًا... وشجر

فتهيم مياه البحار

وتغوى النفوس الوجيعه

الطبيعة... كل الطبيعة

معبد... آه! صل لها

إنها امرأة من شعاع الأزل

تهب الدفء والأمن

حين تهبّ الرياح الفجيعة¹.

فالطبيعة رمزًا لأحوال الشاعر المتغيرة، حيث امتزج الحديث عنها بأحاسيسه المتأرجحة ما بين الحزن والفرح واليأس والأمل، كما امتزج شعوره بالغربة وهواجس من الشكوى والتشاؤم والكآبة والإحباط، والإحساس بالاغتراب الروحي نستله في استحضار الشاعر لعناصر الطبيعة، والاحساس بالاغتراب الروحي نستلهمه في استحضار الشاعر لعناصر الطبيعة، فبيث فيها شكواه عند تعرضه للنكبات والفجائع والأسى والوحدة، بل جعل منها المتكأ الذي يستند إليه ويواسيه في وحدته، وكان هذا نتيجة التجربة الصوفية التي عاشها الشاعر وحاول من خلالها رؤية ذاته. يقول الشاعر:

¹ المصدر نفسه، ص11.

متصوف... للبرق روحانيتي بحر البحور... ومن دمي الأمطار
متجاوز في اللخ كل نبوة حق... وكل تعصب إنكار
أغرقت هذا الكون في صوفيتي فيضاً لفيض... والهوى بحار
ونسخت باسم الحب كل عبادة إلا الجمال... وصحت يا قهار!¹

وفي مقطع آخر يحكي فيه الشاعر عطش الوجدان وحنينه إلى المحبوبة التي هي تجلّ الحب الإلهي، الذي يرى فيه الشاعر انقذاً لذاته من الضياع، لهذا يكون العطش دافعاً إلى الرحلة، تنفصل فيها الذات من عالم المادة لتتصل بعالم الروح، حيث السعادة الحقيقية.

آه! يا امرأة من نبذ وجمر
لماذا أحبك أكثر عند المساء
لماذا تصيرين أجمل حين أريق
عليك قوارير أغنيتي
هل نعود إلى الغرفة الآن
آه! هو البحر ينفخ مزماره
والنسيم يداعب شعرك
والنجمات الصغيرة تلمع في نظراتك
والنور يغزل ألوانه القزحية.²

يمثل حب المرأة للشاعر معبراً أو مسلكاً يسلكه نحو الحب الإلهي الصافي الخالي من كل الشوائب، لهذا فإن حضور الصوفية في شعر عثمان لوصيف، نتيجة بحث عن حياة جديدة يجد فيها سعادته وراحته، كي ينسى وحدته، وقد تحقق ذلك عند تعلقه بالحب الإلهي المنقذ من الظلام، فالتصوف هو عنوان الأمن والأمان لدى الشاعر ومأوى المغترين المهاجرين من الحياة، ولذلك يتحدد مفهوم الاغتراب الروحي من هذه الوجهة، لأنه هجرة الروح إلى الله عز وجل.

¹ عثمان لوصيف، الارهاصات، ص 16-17.

² عثمان لوصيف، اللؤلؤة، ص 77.

يقول لوصيف:

أصلي لعينين ملء السموات والأرض

عينين ألهمتاني... صبيا

ويتمتاني نبيا

أصلي لعينين صوفيتين

هما آيتا دهشتي... وفنائي ومعراج هذا الحنين¹.

لقد أيقضت الغربة في الشاعر مشاعر الإيمان وصدق التوجه إلى الله عزّ وجلّ، بعد أن استوحش من الناس وألمه تنكرهم ورحته الدنيا بأوصابها، لذلك وجد في رحاب الله واحدة يفِيء إليها في فيض الحياة، وأنس اللجوء إليه، أماناً وحناناً، فأناج إليه صارعاً متبتراً بقلب خاشع، واستحب الوحدة، واستلذّ الخلوة، حتى أنه لا يكاد يقترب من الوجد الصوفي وهو يترتل أغاريد الحب والوجد.

- إنّ موضوع الغربة والألم يشغل خير واسع في قصائد الشاعر لوصيف، حيث تجمعت فيه كل معاني الحزن والأسى والوحدة الموحشة، وهذا ما تجلّى في نبرات شعره:

للضياع، للخوف للسحر وللموت خارج أحقابي

خلني... خلني فهذا اغترابي

هذه شهوتي... وهذا عذابي².

لقد اکتوى الشاعر بلهيب الغربة، فالأبيات مشحونة ألماً وشجى، فلم يكن عزوه في ذلك إلا اغترابه، فهو شهوته وعذابه.

وتشتد غربة الشاعر حين تمجره حوريته وتستبد:

هجرتي حوريتي

واستبدت

فالليالي تلفها الظلماء

¹ عثمان لوصيف، اللؤلؤة، ص 17.

² عثمان لوصيف، براءة، ص 42.

والرياحين صوّحت في فؤادي

والبساتين

كلها

حرداء...

آه!

يا زهرة الغبار

أجيبني

أين... أين الغناء

والأشداء؟!¹.

فغربة الشاعر غربة قاسية، إذ تحولت ليليه سوادًا وظلامًا، لم يعد فؤاده ينبض رياحين وبساتين، تحولت كلها جرداء، فلم يجد الشاعر ما يواسيه إلا تلك الآه، التي سيصرخ فيها زهرة الغبار عله تجيبه عن سؤاله الضارب في أعماق ذاته.

وعليه فإنّ من مظاهر "الألم والاغتراب" في شعر عثمان لوصيف هو الإحساس بالقلق وعدم الارتياح والشعور بالضياع والإحساس باليأس والكآبة، وكذا الانسحاب والعزلة الاجتماعية.

2- جماليات اشتغال تيمة الألم والاغتراب:

أ- جمالية الاشتغال الإيقاعي:

يعد الإيقاع الموسيقي من المقومات الفنية الأساسية التي يركز عليها العمل الشعري، وهو الميزة الأولى والخاصية الأساسية التي تجعلنا نفرق الشعر عن النثر، لأن الشعر نشأ مرتبطًا بالغناء، كما أنّ ضعف الجانب الموسيقي في القصيدة ينقص من قدرتها على التعبير والإيحاء، وايصال إحساس الشاعر إلى المتلقي.

¹ عثمان لوصيف، اللؤلؤة، ص71-72.

والإيقاع هو تتابع الحركة والسكون بنسب، ووفق معايير ذوقية إبداعية ويعود على مسافات زمنية محددة النسب، وعلى سلامته تقوم سلامة الوزن، أي إخلال به إخلال بموسيقى الشعر¹.

والإيقاع أشمل من الوزن إذ يعكس النظام الدلالي للقصيدة في تنوع علاقاتها². وسنحاول تبين مدى قدرة النظام الإيقاعي للقصيدة عند الشاعر عثمان لوصيف في الإفصاح عن حالة الألم والاغتراب التي عاشها، وذلك من خلال العناصر الإيقاعية الآتية:

1- الوزن: وهو الوعاء أو المحيط الإيقاعي الذي يخلق المناخ الملائم لكل الفعاليات الإيقاعية في النص، وهو في ذلك الأرض الصالحة للزراعة، التي لا تكتسب شكلها إلا من خلال النوع المزروع فيها، وهو يخلق صورة على نحو خاص، تتغير مادته الإيقاعية بتغير النوع³.

ولقد نوّع الشاعر عثمان لوصيف في استخدامه للبحور الشعرية بين بحور صافية وأخرى ممزوجة، ولعل السمة البارزة في شعره هي كثرة نظمه لشعر التفعلية أو ما يسمى "الشعر الحر"، في حين كانت تجربة الشاعر العمودية محدودة، حيث بلغ عدد القصائد ست وثلاثين (36) قصيدة⁴.

وسنقف عند أهم البحور المتداولة في شعر عثمان لوصيف:

- **البحر المتدارك:** يعد البحر المتدارك أكثر الأوزان الشعرية استخداماً لدى عثمان لوصيف وهذا يعود إلى طبيعة هذا الوزن في حد ذاته، فالمتدارك يتميز "بموسيقى واثبة تناسب سرعة الإيقاع في هذا العصر، وهي أيضاً انعكاس لشدة الانفعال وتأجج العاطفة وتوقها"⁵. وقد ساهم إيقاع المتدارك في تشكيل الكثير من التجارب الشعرية عند الشاعر عثمان لوصيف.

وفي بحث مدى مساهمة إيقاع المتدارك في التعبير عن الحالة الشعورية الوجدانية عند الشاعر لوصيف،

نذكر هذا النموذج.

¹ قاسم مومني، نقد الشعر في القرن الرابع للهجري، دار الثقافة، القاهرة، (دط)، 1982م، ص175.

² جابر عصفور، مفهوم الشعر (دراسة في التراث النقدي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط5، 1955م، ص265.

³ محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين الدلالية والبنية الإيقاعية، منشورات اتحاد العرب، دمشق-سوريا، (دط)، 2001م، ص6.

⁴ ينظر: د. سعيد قريفي، بناء الأسلوبية في شعر عثمان لوصيف، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، العلوم في اللغة والأدب العربي، تخصص بلاغة وأسلوبية،

2017-2018م، ص35.

⁵ صابر عبد الدائم، موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، مكتبة الخانجي، ط3، 1993م، ص101.

آه! معبودتي

0//0/0/0/0/

أوقدي النار إن الظلام يحاصرنا

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

والمدينة ترتج مذعورة

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

من دوي الصواعق

0/0/

فاعلن فاعلن فع

والموت يركض عبر الشوارع¹

/0/0/

لن فاعلن فاعلن فاعلن

والزمهرير يزجر في دمنا

/0//0/0/

لن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

أوقدي النار واقتربي

0//0/

فاعلن فاعلن فاعلن

ثم قولي أحبك

0/0//0/

فاعلن فاعلن فع

¹ عثمان لوصيف، براءة، ص45.

ولتنصهر هذه الطينة البشرية

0//0/0/

لن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فع

في شعلة خالدة¹

0//0/0/

لن فاعلن فاعلن

على التفعيلة المزاحمة (المخبونة فعلمن)، ويرجع ذلك إلى قدرة تفعيلة المتدارك التامة التلاؤم، مع وصف حالة الواقع المرير والجحيم، شعر فيه الشاعر بالبؤس والغربة الموحشة، مما جعله ينفصل عنه ويتجه إلى معبودته ويطلب الفناء فيها.

- البحر الكامل: وفي تجربة شعرية مغايرة، استخدم فيها الشاعر الوزن الكامل متجاوزًا مع حالة نفسية مغايرة. يقول لوصيف:

وأضيع في خيط أطارده

0//0// /0/ 0//0//

متفاعلمن متفاعلمن فعلمن

فيردني الإعياء...والخطأ

0///0/ /0/0/ 0//0//

متفاعلمن متفاعلمن فعلمن

وحدي

متفا

وأصرخ: أين، أين يدي؟

¹ عثمان لوصيف، براءة، ص45-46.

0///0//0///0//

علن متفاعلن فعلن

لا النجم يسعفني...ولا الملاء¹.

0///0//0///0//0/0/

متفاعلن متفاعلن فعلن

وجد الشاعر لوصيف في إيقاع الكامل قدرة على التعبير عن مشاعر الوحدة والأسى والألم، وهي مشاعر مؤلمة بلغت درجة الصراخ، ويبدو أنّ في نمط تشكل تفعيلات هذا الوزن نوعاً من الارتباط بحالة ضياع وتمزق الذات.

- بحر الرمل: وفي سياق آخر نظم الشاعر قصائده على وزن "الرمل"، لما له من إمكانات واسعة في نقل التجربة الشعورية التي يعيشها الشاعر لوصيف إلى مسامع المتلقين، وتوضيحا لهذا أسوق هذا النموذج من قصيدة "باتنة" التي يعبر فيها الشاعر على ألم الغربة داخل وطنه:

غنوة رقرقها ضوء القمر يا زنبقة القلب ويا

أجمل الشمس وحيي والزهر ها أنا جئتك صبّاً طنامئاً

0/0/0/0/0///0/0//0/ 0//0//0///0/0/0//0/

طيرك الشادي وغناها الشجر في فمي أغرودة لحنها

0//0/0/0/0/0//0/

فأحضنني انني محترق وامسحي عن جبهتي ملح السفر².

0/0//0/

¹ عثمان لوصيف، اللؤلؤة، ص34.

² عثمان لوصيف، الارهاصات، ص34.

بين التقطيع العروضي هيمنة التفعيلة التامة (فاعلاتن) على هذه الأبيات الشعرية، وتعود هذه الهيمنة للتفعيلة التامة إلى كثرة المدود التي تتلاءم مع آتات الوجد والألم والاغتراب والحنين إلى الوطن، حيث تتناسب هذه الحالات النفسية مع إيقاع "الرمل".

- البحر الطويل: وتطبيق للبحر الطويل، اخترنا النموذج الآتي:

فلسطين قلبي

فعولن مفاعي

جوعها في مفاصلي

لن فعولن مفاعل

ينادى

فعولن

وعيناها¹

مفاعيلن

تثيران لهفتي

فعول مفاعلن

هي الزهرة البيضاء

فعولن مفاعيلن ف

تنزف بينهم

عول مفاعلن

وهم يعجنون النفط

فعولن مفاعيلن ف

في شكل زهرة²

¹ عثمان لوصيف، شبق الياسمين، ص121.

² عثمان لوصيف، شبق الياسمين، ص121.

عولن مفاعيلن

من الواضح أنّ الشاعر في حديثه عن فلسطين يمزج مشاعره بسلبية موقف الإنسان العربي في سياق درامي مؤثر¹. وقد وجد الشاعر في البحر الطويل تفعيلاته الممتدة إطاراً مناسباً، للتعبير عن الحالة الدرامية المؤثرة، كما أسهم هذا الإيقاع في رصد الحالة النفسية لدى الشاعر والمتمثلة في شعور الألم والوجع على أحوال الشعب الفلسطيني، وبشعور الغضب على مواقف العرب عامة إزاء تلك الاحوال.

وعليه فإن تنوع الأوزان في شعر عثمان لوصيف، شكّل قالباً فنياً، أضفى جمالية ورونقاً وجرساً موسيقياً خاصاً به، رغم بساطة القصيدة، فحين نتأمل في ثنايا قصائده نلمس ذلك الحس الموسيقي والإيقاع النغمي الحزين، الذي يلقي بظلاله على أغلب قصائده، ليجعل منها الشاعر لوحة فنية تعبر عن مشاعر الألم والاغتراب الذي يكتنف نفسه.

أ-2 التكرار: التكرار هو: "أن يأتي المتكلم بلفظ، ثم يعيده بعينه، سواء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً أو يأتي بمعنى، ثم يعيده.

وهذا من شروط اتفاق المعنى الأول والثاني، فإن كان متحد الألفاظ والمعاني، فالفائدة إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس، وكذلك إذا كان اللفظان متفقين ومعنى مختلف، فالفائدة في الإثبات به دلالة على المعنيين المختلفين"².

وعن أهمية التكرار يقول "محمد مفتاح": "يقوم التكرار بدور كبير في الخطاب الشعري، أو ما يشبهه من أنواع الخطاب الأخرى الإقناعية"³.

وعليه فإن للتكرار أهمية كبيرة في توضيح وتوكيد الفكرة والمعنى، وكذا إيصال الحالة الشعورية للمتلقى. وإذا كان التكرار أساساً إيقاعياً، فإن حضوره في شعر لوصيف شكّل سمة جمالية ومصدر إشعاع لحالته النفسية والعاطفية والوجدانية، حيث وجد الشاعر في التكرار منفساً لكل ثورة عاطفية، وشاطئاً ترتمي عليه موجة حزينة. ويظهر التكرار على شكل أصوات أو كلمات أو جمل.

¹ سعيد قرني، بناء الأسلوبية في شعر عثمان لوصيف، ص59.

² محمد صابر عبيد، القصة العربية الحديثة، ص182.

³ عصام سرتج، ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (دط)، 2005م، ص7.

سنقف في ما يلي على أهم التكرارات التي وردت في شعر عثمان لوصيف والتي لها علاقة بحالته النفسية. - التكرار الصوتي: يبرز وعي الشاعر بدور التكرار الصوتي في تشكيل أسلوب النص، وقدرته على منحه شعرية أكبر وذوقًا مختلفًا، وانعكاسا لحالته المتذبذبة، وللوقوف على مدى قدرة التكرار الصوتي في التعبير عن حالة الألم والاغتراب في شعر لوصيف، نسوق هذا النموذج من قصيدة "زفرة":

هذي الزهور ماها ذبلت لا أعرف للأزهار ينعشني
هذي رسومي ماها جمدت لا شيء في الجدران يونسني
هذي دموعي ماها انحدرت من مقلتي حمراء تفضحني
حتى النسيم ذوت نوافحه لا نسمة نشوى تدغدغي¹.

نلمس في هذه الأبيات زفرات طويلة يتنهدها الشاعر، تعبر عن نفس أرهقها التيه والضياغ، واستبد بها الألم والأسى، فضاعت في سراديب الحياة.

وقد ساهمت أصوات النص في رصد هذه المعاني الشجية، فصوت "الهاء" نلتمس فيه حزن وأسى وتيه، حيث استعان به الشاعر للتنفس عن صدره، وصوت "النون" الذي يتميز بطاقة نغمية عالية، تؤدي إلى خلق توازن إيقاعي تطرب له الأذن، وهو الذي تكرر بكثافة في هذه الأبيات نذكر منها (ينعشني - الجدران - تفضحني - نشوتي...). والنون هو صوت مجهور، والواقع أنّ توظيف الشاعر لهذا الصوت يأتي منسجما مع حالة القلق والتوتر التي تخيم.

وفي صوت الميم "صوت شفوي أنفي مجهور"² يناسب المعاني الهادئة، حيث تبعث منه موسيقى خفيفة تتلاءم مع أحاسيس الشاعر.

ومثل ذلك تكراره لحرف "راء" وهو الصوت الذي تتلاءم مع حالة الشاعر النفسية، فبواسطته جهر عثمان لوصيف عما يضيق به صدره من حزن وأسى.

¹ عثمان لوصيف، الارهاصات، ص 64-65.

² حسام البهساوي، الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهران الشرق للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، ط 1، 2005م، ص 85.

و"صوت التاء" الذي يميز بقوة الوضوح السمعي، وهو صوت الرقة والضعف والشدة والقساوة، أضفى على أبيات القصيدة تناغمًا ايقاعيًا تحسه الأذن.

- **تكرار الكلمة:** للكلمات صدى ووقع خاص في المتلقي، فهي تشكل انسجاما واتساقا داخل النص الشعري. ويشكل تكرار الكلمات ايقاعا مؤثرا في نص القصيدة، حيث يعمل كثيرا على إغناء الإيقاع داخلها، وسنسوق فيما يأتي نموذجا للوقوف فيه على الحالة النفسية التي يكشف عنها إيقاع الكلمات المتكررة:

ربما كان من الحكمة أن

أن أعدل هذا الجنون

ربما، لكن! وماذا؟

ليس لي فيكم سوى هذا الجنون

ليس لي إلا الجنون!¹

فالشاعر ألحّ على لفظة "الجنون"، لأنه وجد فيها الكلمة المعبرة على مشاعر الخيبة والأسى في واقعه المأساوي الذي عاش فيه بين الألم والاغتراب.

وفي نموذج آخر يقول لوصيف:

جبل... ليتني جبل من حجر

تعصف الريح لكنها تحت أقدامه تتكسر

ليتني صخرة تتسربل بالدهو في القمة الشاهقة

ليتني عاصف أو مطر

تتسلق نار السماء

ثم تهبط كالصاعقة

في رفات البشر

¹ عثمان لوصيف، نمش وهديل، ص61

جبل... ليتني جبل من حجر!¹.

تكررت كلمة "ليتني" ستة مرات ودلالاتها في هذه الأبيات هو أنّ الشاعر يطلب المحال، فتراكم الألم وحرقة الغربة، جعلته يتمنى نفسه جبلاً، ليدل على العمود والتحدي والثبات، كما تمنى نفسه صخرة ليدل على المساواة، وتمنى نفسه عاصفاً أو مطراً لكي يغير من سيدة الحياة.

- تكرار الجملة:

هذا المستوى من التكرار أشد المستويات تأثيراً، فالجملة المكررة تشكل مصدر ثراء للإيقاع وعامل "تماسك القصيدة ووحدة بناءها"². وقد وظف الشاعر عثمان لوصيف هذا النوع من التكرار في قصائده معبراً عن تجاربه المختلفة، ومن أمثلة هذا النوع من التكرار قول الشاعر في أبيات امتزج فيها الشعور بالغربة، وهو اجس من الشكوى والتشاؤم والكآبة التي جعلت منه شاعراً متصوفاً، يعشق التغني بالطبيعة وحبّ الإله:

الطبيعة... كل الطبيعة

معبد... آه! صل صلاة الغرم

وصل صلاة المدام

لورد الصباحات إذ يتضرع

لطير المساءات إذ يتضرع

للنحل والوشوشات الوديعة

الطبيعة... كل الطبيعة

معبد يتكؤّر أو يختصر

آه! في امرأة تكتسي

أنجمًا... وشجر

فتهيم مياه البحار

وتغوى النفوس الوجيعة

¹ عثمان لوصيف، ديوان براءة، ص41.

² السعيد قربي، بناء الأسلوبية في شعر عثمان لوصيف، ص145.

الطبيعة... كل الطبيعة

معبد... آه! صل لها¹.

يكرر الشاعر جملة "الطبيعة... كل الطبيعة معبد" وهو تكرر يأتي على مسافات، حيث يتجاوب هذا التكرار مع حالة العشق التي تفيض على الشاعر، والتي جعلته يفر من عالم المادة نحو الحب الإلهي الصافي الخالي من الشوائب.

- وخلاصة القول، يعدّ التكرار ظاهرة من الظواهر الفنية التي طغت على شعر عثمان لوصيف، والتي أجاد في توظيفها، فأنجج نصوصاً تزخر بالأثر الجمالي والفني، وهذا ما يدل على إلمام الشاعر وتأكيده على موضوع ما، كما يبرز لنا أنّ هناك فكرة ما بداخل الشاعر، فيصر عليها من خلال تكراره لعبارة أو ألفاظ ما، ذلك أنّ التكرار يخلق جواً موسيقياً يؤدي إلى لفت النظر من خلال الأثر الجمالي، لأن له سحراً على قلوب سامعيه، كما أنه يضفي ثراء على النظام الإيقاعي للقصيدة.

ب- جمالية الاشتغال التخيلي:

يستعين الشاعر بالخيال في عمله الشعري، لأن الحقيقة لا تكفيه أحياناً للتعبير عن نفسه، لهذا وجد في الخيال القدرة على إنشاء صور جديدة، يجمع بينها وبين الخيال، فتظهر لنا بأن للشاعر القدرة على الإبداع، وقد اعتنى عثمان لوصيف عناية بالغة بالصورة الشعرية لما لها من قدرة على تجسيد المعنى وإيضاحه وزيادة فعاليته مع الكلمات والعبارات التي يقدمها في قالب يعكس قدرته على النظم، وشاعرية جذابة ودقة في اختيار الصور الشعرية.

وقد أطلق الشاعر عثمان لوصيف قريحته فصال وجمال في تشكيل الصورة التخيلية، التي يتركز فيها على الجمع بين العناصر الفنية المختلفة التي تعكس مشاعره، وأبرز هذه الصور:

ب-1 الرمز: لقد وظف عثمان لوصيف الرمز بشكل مكثف في شعره، وقد يرجع ذلك إلى تجربته الشعرية وما ينصهر بداخله من صراعات وشحنات عاطفية، التي قد تعجز اللغة البسيطة عن إيصالها. فجاء الرمز

¹ عثمان لوصيف، الارهاصات، ص10-11.

كمراة عاكسة لمأساته وآلامه وأحزانه وجروحه، لهذا تنوع الرمز عنده بين الرموز الصوفية والطبيعية والأسطورية.

- الرموز الصوفية: يعتبر الرمز الصوفي أكثر الرموز التي ظهرت في شعر عثمان لوصيف، فلا تكاد تخلو قصيدة إلا ووجدنا فيها رمزاً صوفياً، وكان هذا نتيجة التجربة الصوفية التي عاشها الشاعر، محاولاً الهروب من عالمه الذي كثر فيه الضجر والزيف والتصنع، مما جعله يشعر فيه بالضيق والضياع والوحدة. ومن الرموز التي وظفها في شعره نذكر:

● رمز الخمر: وظف عثمان لوصيف رمز الخمرة، تعبيرا عن الحب الإلهي:

إلى أين بمضي بناء السكر يا عشق¹

أين حدود غوايتنا

أين... أين القرار؟².

إنّ الخمرة التي تحدث عنها الشاعر هي الخمرة التي تنبض منها الحياة، وهي رمز للنشوة والسعادة التي فقدتها الشاعر في واقعه المعاش.

● رمز النار: يعد رمز النار من الرموز الصوفية، وقد استخدمها الشاعر تعبيرا عن تجربته الصوفية، حيث يقول، في قصيدة "أنشودة النار":

آه، أيتها النار!

في البر والبحر تشتعلين

منعمة جوعك الأبدي

ومثل الأساطير ترتحلين

ولا شيء يضيفي تيارك المتوحش

تلتهمين العصور

وتلتهمين الصخور

¹ عثمان لوصيف، براءة، ص50.

² عثمان لوصيف، براءة، ص50-59.

وخالدة أنت
خالدة في السماء
أبارك مجدك أيتها القوة الباطنية
أنت رفيقة دربي
أنت صديقة قلبي
أبارك فيك البداءة والسحر
والرمز والسر¹.

وظف الشاعر النار، دلالة على الاحتراق والاشتعال والذوبان، فهي تحمل بعداً صوفيّاً، فالشاعر وقف متأملاً خاشعاً أمام هذه النار، متحدثاً معها، لأنها الصديقة والرفيقة في جميع خطواته، وهي الرمز والسر بالنسبة له.

● رمز الماء: يقول الشاعر في الموضع الآتي:

والطيور التي تعشق الماء
تغمس فيه مناقرها
وتغرد من نشوة وطرباً
كل شيء من الماء
يولد
أو يتناسخ
من حماء هن هذه الكائنات الدقيقة
من حماء هذه الأشنات
الطحالب
والعشوب

¹ المصدر نفسه، ص70-71.

يا معجزات المياه

أفيض على مقلتي العجاب العجب¹.

تتحلى التجربة الصوفية في هذه الأبيات من خلال كلمة "الماء"، فهي رمز للوجود الإنساني، استعمله الشاعر لإثبات ذاته ووجوده في الحياة، فالماء مرتبط بشئائفة الحياة والموت.

● **رمز المرأة:** وظف عثمان لوصيف رمز المرأة في قصائده، حيث نلاحظ في أشعاره "اتجاهًا قويًا إلى الإهابة بالمرأة وبأحوال العشق الإنساني، بوصفها رموزًا صوفية ذات طابع غنائي، لوّح الشعراء من خلالها إلى عاطفة الحب الإلهي"². فالمرأة هي المسلك والمعبر في التعبير عن الحب الإلهي. يقول الشاعر في قصيدة "الشبابة":

أتملى جمالات وجهك مغتسلا برذاذ التسايح

تغلبني الحال...أغرق في نور عينيك

حيث تشق المرايا وحيث ترف العصون

أنتشي فتنة...أنتشي

آه يا امرأة من أريج السماوات

من صب فيك المدام

وصاغك روحًا إلهية النبرات؟³.

يمجد الشاعر المرأة في هذه الأبيات ويعطيها صبغة خاصة، ويرى أنّ الجمال الإلهي يغمر كل الوجود، والشاعر يحس به في كل نواحي الكون، وتحتل المرأة مكانًا قدسيًا عند الشاعر، حيث يبرز هذا الرمز في تجلياته الإلهية وحالة من تقديس. فالمرأة هي الظل والملجأ الذي يفر إليه الشاعر هروبًا من فضاة الواقع الأليم الذي يشعره بالغرابة.

¹ عثمان لوصيف، زنجبيل، دار هومة، الجزائر، (دط)، 1999م، ص 81-82.

² عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، بيروت-لبنان، ط3، 1983م، ص 165.

³ عثمان لوصيف، اللؤلؤة، ص 15.

- الرموز الطبيعية: جاءت معظم قصائد عثمان لوصيف محملة بالرموز الطبيعية بكثرة، إذ لا نكاد نجد قصيدة من قصائده تخلو من أي لفظة توحى وترمز للطبيعة، فحضورها كان قوياً، وهذا ما تتميز به التجربة الرومانسية، التي تعتبر الطبيعة أهم خصيصة من خصائصها، ذلك أنها رفضت الواقع وحاولت الفرار إليها والامتزاج بها، اتخذها أنيسا تشكو لها همومها، وهذا ما نجده في شعر عثمان لوصيف. وأهم هذه المظاهر الطبيعية في شعره نذكر:

● رمز الريح: ترتبط دلالة الرياح بالاضطراب والتشويش. وهذا ما نجده في قول الشاعر عثمان لوصيف:

ربما هبت علينا الرياح حمراء عتبه

ربما في ظلمات الزبد الغربي ضعنا

ربما، آه

فتشبثنا بنار وثنية

وتركنا الراية الخضراء تبكي

وخذلنا الملحمة ثم ذبنا في صراع الأنظمة¹.

استخدم لوصيف لفظة "الرياح" في هذا الموضوع، دلالة على الفساد والدمار والخراب والتقهقر، وعدم الاستقرار، وهذا انعكاس لفساد الشخصية الشاعر وما يعانيه ويكابده جراء هذا الواقع الأليم القاسي، وما لحق بهذه الشعوب من أحزان وتوترات، وقد أدت الرياح دورها في إيصال الحالة النفسية للشاعر من اضطراب وعدم الاستقرار داخل وطنه.

● رمز السنابل: يقول الشاعر في قصيدة "السنابل":

تحت أطباق الرماد

في ظلام العالم المنسي

في حمى التراب

¹ عثمان لوصيف، أعراس الملح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 27.

أغمضت أجفانها
 واستسلمت تلحم
 من أجل صباح آخر يشرق في عمق السواد
 نحن طوعنا لها الريح
 زرنا البرق
 أرسلنا السحاب
 ومنحناها بريق الدمع في ليل الحداد¹.

عنون الشاعر قصيدته بـ "السنابل" وهي التي تمثل له رمز المأساة والمعاناة، والظلام والسواد، فهو يرى بأن الرماد ما هو إلا نار تختبئ تحتها جمر، بمجرد نفخة تشتعل هذه النار من جديد، فهو بذلك يحمل أملا كبيرا بغد مشرق منير.

● رمز التراب: يقول الشاعر عثمان لوصيف في قصيدة "التراب":

منذ هبت علينا أعاصير كان التراب
 التراب الذي يتناسل بين الجفون
 والتراب الذي يتحول مثل الجنون
 والتراب الذي يشتهين
 أن نكابد أو ننتهي².

استعمل الشاعر "التراب" دلالة على رمزية الخلود والنضال، فالشاعر وظف التراب تعبيراً عن روحه المتوثبة الحاملة بالانتصار نحو حياة أفضل، في هذا الواقع الأليم الذي هبت عليه الأعاصير، والتي يقصد بها الشاعر المشاكل والأزمات، وتتناقل الهموم، ولكن رغم هذا فالشاعر يكابد هذا الواقع بما فيه حتى يصل إلى نهايته.

¹ المصدر نفسه، ص18.

² عثمان لوصيف، شبق الياسمين، ص27.

- الرموز الأسطورية: تناول عثمان لوصيف الرمز الأسطوري، ليجسد من خلاله حالته النفسية والفكرية، حيث أفرد لها قصائد خاصة، تجسيدا لتجربته الشعرية والإنسانية بشكل خاص، ومن أهم مظاهر التشكيل الأسطوري الموجودة في شعره والتي كشفت عن حالة الألم والاغتراب الذي مزق نفس الشاعر نذكر:

● أسطورة السندباد: يقول الشاعر في قصيدة "الملاح":

عاشقًا كان ينادي

في أعاصير الرماد¹

ويعاني

من تباريح الحنان

خلّه يلبس موج البحر والريح قناع

خلّه يطوي المسافات

ويعضي في مداها

إنه كالسندباد

يعشق الحر ويغويه الضياع².

يستلهم الشاعر أسطورة "سندباد" في التعبير عن رحلاته المليئة بالمغامرات والمتاعب، حيث تخيل نفسه "سندباد" البحري المعاصر يعيش في واقع مرير متأزم وشاق، يشد قبضته على حرته الفردية، وقد استعمله الشاعر تعبيراً عن "رفض الواقع المتصلب والثورة والبحث عن انبعاث جديد يبرر مرارة اليأس ويخصب الحياة بالأمل في ولادة جديدة منتظرة"³.

فالشاعر إذا يبحث عن واقع جديد مزهر بالأمل، يشعر فيه بالسعادة والرخاء.

¹ عثمان لوصيف، أعراس الملح، ص 27.

² عثمان لوصيف، أعراس الملح، ص 27.

³ عبد الحميد هيمة، البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر (شعر الشباب نموذجاً)، مطبعة هومة، ط1، 1988م، ص 90.

● أسطورة العنقاء: "العنقاء" طائر يحرق نفسه ثم يبعث من رماده طائرا آخر قويا، فهو رمز للتحدي والانبعاث. وظفه الشاعر في قوله:

وسأبقى هنا

سأمسد هذا الرماد

وأزرع في البذور وأدعو السحاب¹.

جسد الشاعر أسطورة "العنقاء" وذلك من خلال التصريح بلفظ الرماد الذي يقصد به جسده المحترق بنار الغربة، وأي حرقه كحرقه غربة الشاعر داخل وطنه، رغم هذا فإن عثمان لوصيف وقف متحديا لهذا الألم، علّه يأتي ذلك اليوم الذي ينبعث فيه النور من جديد.

إنّ للشاعر عثمان لوصيف رموزاً متعددة وكثيرة جدّاً: الرموز الصوفية، الرموز الطبيعية والرموز الأسطورية، وقد اكتفينا ببعضها، والحقيقة أنّ هذه الرموز أضفت على قصائده قيمة جمالية وفنية رائعة، كما كان لها القدرة على إفصاح الحالة الشعورية لدى الشاعر.

ب-2 الصورة الشعرية: إنّ الصورة الشعرية عثمان لوصيف تتجلى فيها الجدّة والأصالة، وهي تؤدي وظيفتها في التجربة الشعرية، وبذلك فهي تساير فكرة عامة أو الشعور العام للقصيدة، وبالتالي تسهم في الحركة العامة للقصيدة حتى تبلغ الذروة في النماء، كما أنّ الصورة الشعرية عند لوصيف تعانق الطبيعة في صورها المختلفة، فتأتي شفاقة مرهفة، شفاقة الطبيعة ورهافتها. وسنبحث في تشكيل بعض الصور الشعرية عند عثمان لوصيف، ونبين مدى انسجامها وارتباطها بألم الشاعر وغربته.

- **التشبيه:** استخدم الشاعر التشبيه بداعي الغموض والهروب من القوالب الجاهزة، فاختيار الشاعر لهذه الصورة الشعرية لم يكن من منطلق واقعي، إنما هو منطلق يعتمد فيه على شعوره واحساسه، حيث تكون لغته لغة إيحائية غير واضحة وغير مباشرة، يعتمد فيها على الخيال والتصوير.

- يقول الشاعر في هذه الأبيات:

وانطفأنا كالشموع

¹ عثمان لوصيف، قالت الوردة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص 67.

فإذا نحن هشيم

وإذا نحن رميم¹.

وظف الشاعر هذه الكلمات الموحية بحالته النفسية الهشيمة التي أرهقها الواقع المأساوي المرير، فانطفأت كالشموع، فهذه الصورة يعبر بها الشاعر عن مرارة احساسه وضياعه، لهذا كان للتشبيه سمة جمالية إيجابية، صوّرت حالة الشاعر تصويرًا ابداعيًا.

- وفي نموذج آخر يشبه فيه الشاعر نفسه "بالطفل العابت" يقول:

هذا الطفل العابت...مزمار لا يصدأ²

نار لا تهدأ

ريح تجتاح الأرض

ومدّ يتبعه مدّ³.

يرى الشاعر نفسه الطفل العابت، الذي يرفض فيه واقعه المفجوع، ويجسد من خلاله التمرد والعصيان لواقع الانكسار والكآبة والألم، وفي باقي الصور التشبيهية يعمد الشاعر إلى تأكيد تلك الحالة وتصاعدها.

- وفي صورة تشبيهية أخرى يقول لوصيف:

وتخطفني النظرات

كأني أسير إلى أجلي

ذاهب، هل تفاجئني النار

أم تصطفيني الملائك

والحور⁴.

¹ عثمان لوصيف، الارهاصات، ص38.

² عثمان لوصيف، براءة، ص64.

³ عثمان لوصيف، براءة، ص64.

⁴ عثمان لوصيف، اللؤلؤة، ص56.

إنّ طغيان الألم والأسى على نفس الشاعر جعلته زاهداً في الحياة الكثيرة التي زادت من حيرته، أبقى هذا الأنين يتبعه حتى الآخرة، أو ينتهي به عند الموت.

- الاستعارة: يوظف الشاعر عثمان لوصيف الاستعارة كباقي الشعراء، بغية الغوص والوصول إلى أعماق الواقع الإنساني، وبالتالي فهو يتجاوز الخارج إلى الباطن والوضوح إلى الغموض، من أجل الوصول إلى الحقيقة والجوهر.

- يقول في هذا المثال:

واغتسلنا بالدموع¹.

هذه الصورة الاستعارية، هي استعارة مكنية، حيث شبه (الدموع) بالماء، و حذف المشبه به (الدموع) وترك صفة له (اغتسلنا)، وقد جسدت هذه الصورة حجم تراكم الألم للشاعر، وهذا ما يوحي بحجم الألم والحزن التي يعانيتها الشاعر.

- يقول أيضاً:

فلسطين قلبي

جوعها في مفاصلي².

شبه الشاعر الحصار على فلسطين بالجوع، فحذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به، لتكون استعارة تصريحية. فالشاعر يتألم على حال فلسطين بما فعل بها الاستعمار من اضطهاد واستبداد، وهذا إن دلّ على شيء، إنما يدل على صحوة ضمير الشاعر وانسانيته.

- وفي مثال آخر يقول:

فحتضنت جراحي ومت³.

في هذه الجملة استعارة مكنية، حذف فيها الشاعر المشبه به (الإنسان)، وترك لازماً من لوازمه (الاحتضان). فالشاعر أثقلت على صدره الهموم والأحزان حتى أصبح الألم يحتضنه ويطارده أينما كان.

¹ المصدر نفسه، ص46.

² عثمان لوصيف، ص121.

³ المصدر نفسه، ص10.

- الكناية: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الحقيقي منه¹. ومن أمثلة ذلك: أشرب نخب الهزائم².

هذه العبارة كناية عن صفة الحزن والألم، فشعوره بالوحدة والضياع جعله يشرب نخب الهزائم، فالبعد الجمالي لهذه الصورة جذب النفوس وشدّ الانتباه.

- وفي صورة أخرى تحمل مشاعر الشوق والحنين. يقول لوصيف: نبكي حيننا³.

هذه كناية عن صفة الشوق والحنين، فالشاعر يجد نفسه غريبا عن هذه الحياة وتائها فيها، فهو يحن إلى الماضي الجميل.

- مثال آخر:

ولم أزل أبحر في السواد⁴.

كناية عن صفة الحزن والمآسي التي مزقت ذات الشاعر وأرهقتها وأظلمت حياته بسوادها.

- من خلال ما سبق نستطيع القول أن الصورة الشعرية، ترتبط لخيال الشاعر، كما تصنع النص حركية ودينامية وتناسق، فالخيال يتيح الشاعر الدخول خلف الأشياء واستخراج أبعاد المعنى، لأنها طريقة في التعبير عما يجول في قلبه وخاطره إلى العالم الخارجي، ليشترك فكرته المتلقي، لهذا كان عثمان لوصيف صاحب الخيال الواسع استطاع من خلاله تفجير أفكاره ومشاعره وإيصالها إلى المتلقي عن طريق الصورة الشعرية، التي وظفها بعدة أشكال منها: الرمز، الأسطورة، التشبيه، الاستعارة، والكناية... فاستعماله لهذه الصور تعبيرا عن حالاته التي لا يمكن تفهمها أو تجسد بها يدون صورة.

¹ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، ط3، (دت)، ص128.

² عثمان لوصيف، براءة، ص31.

³ عثمان لوصيف، شبق الياسمين، ص23.

⁴ عثمان لوصيف، اللؤلؤة، ص19.

الخاتمة

تناول موضوع البحث "الألم والاعتراب في شعر عثمان لوصيف" وجاء في فصلين ، ذكرنا في الفصل الأول مفهوم الألم والاعتراب، وحضورهم في الشعر العربي قديما وحديثا وأما الفصل الثاني فستعينا فيه ظاهرتا الألم والاعتراب في شعر عثمان لوصيف، وخلصنا في نهاية الدراسة إلى النتائج الآتية: الألم والاعتراب مصطلحان تناولهما الكثير من الدارسين والباحثين من العرب والغرب وحاولوا الوقوف على تحديدات هذين المصطلحين وارتباطهما بتجارب الشعراء وتنوعهما حسيا وعاطفيا .

عانى الشاعر عثمان لوصيف حرقة الألم ولهب الاعتراب ، وقد بدا ذلك واضحا من خلال طغيان هاتين الظاهرتين على كثير من إبداعاته الشعرية معبرا عنها في صور كثيرة ارتبطت بمجالات نفسية روحية واجتماعية كما ارتبطت بفضاءات للزمان والمكان، وقد كشف كل ذلك عن تهالك الواقع في مبادئه وقيمه ومثله العليا.

- عثمان لوصيف يعد من الشعراء الذين عانوا مرارة وحرقة الاعتراب، لكن غربته كانت أشد قسوة وألما من غيره، لأنها في وطنه وبين أهله وخلانته.

- لاحظنا طغيان التجربة الصوفية في شعر عثمان لوصيف، لأنه يرى فيها سبيلا للسلام مع ذاته وطريقا للشفاء من آلامه وجروحه.

- حضور الصوفية في شعر عثمان لوصيف كان نتيجة بحث عن حياة جديدة، يجد فيها سعادته وراحته وتواسيه في وحدته، فالتصوف هو عنوان الأمن والأمان لدى الشاعر، لأنه هجرة الروح إلى الله عز وجل.

- حضور رمز المرأة بشكل مكثف في شعر عثمان لوصيف، حيث حلق بها الشاعر إلى عالم الروح، حيث الصفاء والحب الطاهر، إذ هي من رموز المحبة الإلهية، يستعين بها الشاعر بوصفها ضرورة من ضروريات الانتقال من مقام إلى مقام، أو من كشف إلى كشف آخر.

- نلاحظ في جمالية الاشتغال الإيقاعي والتخييلي، أن الشاعر مزج بين عناصر عديدة من الأوزان والتكرار والرمز والتشبيه والاستعارة والأسطورة ، شكلت لنا وحدة إيقاعية وفنية وجمالية متوائمة مع الحس الشعوري المتنامي في القصيدة.

- إن شعر عثمان لوصيف لا يزال في حاجة لكثير من الدراسات تكشف أغواره، وتستخرج درره وجواهره

- وتظل هذه الدراسة المتواضعة ما هي إلا محاولة للإسهام في تناول ظاهرة من الظواهر الفنية والموضوعية التي برزت بشكل واضح في شعر عثمان لوصيف الذي لا يزال في حاجة إلى مزيد من الدراسات واجتهادات من الباحثين، بما اشتمل عليه في كثير من القضايا والظواهر الفنية والموضوعية، ولإيفائه حقه من العناية والاهتمام، هذا والله من وراء القصد وهو الموفق إلى كل خير وصلاح.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

i. المصادر:

- عثمان لوصيف:

- 1- الارهاصات، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، 1997م.
- 2- أعراس الملح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)، 1988م
- 3- براءة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، 1997م.
- 4- زنجبيل، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، 1999م.
- 5- شبق الياسمين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)، 1986م.
- 6- اللؤلؤة: (دط)، 1997م
- 7- نمش وهديل، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، 1997.

ii. المراجع:

- 8- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ط2، مطابع دار المعارف بمصر.
- 9- إبراهيم ناجي، الديوان، دار العودة، بيروت، 1986.
- 10- أحمد بن عبد الغفار عطار، الجوهرى "الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، مجلد الأول، باب غرب، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1984.
- 11- أحمد شوقي، الديوان (الشوقيات)، تحقيق: محمد فوزي حمزة، الطبعة الثانية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2012.
- 12- امرئ القيس، ديوان ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004.
- 13- إيليا أبو ماضي، الديوان، دار العودة، بيروت، ط1، دت.

- 14- البحتري، الديوان، شرح وتعليق: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1414.
- 15- توبة بن الحمير، الديوان، تحقيق: إبراهيم الخليل، دار صادر، بيروت، ط1، 1998.
- 16- جابر عصفور، مفهوم الشعر (دراسة في التراب النقدي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط5، 1955م.
- 17- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1972.
- 18- حسام البهساوي، الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، ط1، 2005م.
- 19- حسن لشقر، الاغتراب في الشعر العربي، من عتبات الألم إلى احتراق الذات، مطبعة الوراقة بلال، ط1، 2015.
- 20- الحميد باشوات، زمن الرحيل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980. عبد
- 21- عبد الحميد هيمة، البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر (شعر الشباب نموذجاً)، مطبعة هومة، ط1، 1988م.
- 22- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، ط3، (دت).
- 23- خليفة عبد الله محمد، دراسة سيكولوجية الاغتراب، دار الغريب لطباعة ونشر، القاهرة، مصر، (دط)، 2003.
- 24- الرازي، مختار الصحاح، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، (دط)، (دت).
- 25- عبد الرحمان شكري، الديوان، توزيع دار المعارف، الاسكندرية، جمع وتحقيق نقولا يوسف، ج5، 1960.
- 26- رمضان الصباح، في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1998.
- 27- الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1404هـ، 1984م.

- 28- سعد حسون العنبي، الشعر الجاهلي دراسة في تأويلاته النفسية والفنية، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007.
- 29- عبد السلام محمد الشاذلي، حول قضايا التغريب وتجريب، دار الحدائث لطباعة ونشر وتوزيع، ط1، لبنان، بيروت، 1985
- 30- الشاعر القروي، ر سيد سليم الخوري، الأعمال الكاملة، جروس برس، طرابلس، لبنان، 1983.
- 31- صابر عبد الدايم، موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، مكتبة الخانجي، ط3، 1993م.
- 32- ضيف شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف القاهرة، ط6، 1975.
- 33- أبو الطيب المتنبي، ديوان المتنبي، مطبعة عبد الرحمان البرقوقي، ج4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986.
- 34- عادل الألويسي، العبقارية والاعتراب، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
- 35- عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، بيروت-لبنان، ط3، 1983م.
- 36- عباس محمود العقاد، عابر سبيل، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، مارس 2005.
- 37- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ظواهره الفنية والمعنوية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967.
- 38- عزيز السيد حاسم، تأملات في الحضارة والاعتراب، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1987.
- 39- عزيزة مريدن، الشعر القومي في المهجر الجنوبي، دار الفكر، ط2، 1973.
- 40- عيسى الناعوري، إلياس فرحات، شاعر العروبة في المهجر، المطبعة الوطنية، عمان، الأردن، ط1، 1956.
- 41- فاطمة حميد السويدي، الاعتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997.
- 42- فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1993

- 43- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، الدار التونسية للنشر، تونس.
- 44- قاسم مومني، نقد الشعر في القرن الرابع للهجري، دار الثقافة، القاهرة، (دط)، 1982م.
- 45- قيس بن الملوح (مجنون ليلى): جمع وتحقيق: عبد الستار فراج، مكتبة نصر (القاهرة)، ط1، 1979.
- 46- مجد الدين الفيروز آبادي، "المعجم المحيط"، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمان المركشيلي، دار إحياء التراث العربي، ج1، بيروت، ط1، 1997.
- 47- محمد زكي العشماوي، الأدب وقيمة الحياة المعاصرة، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت.
- 48- محمود سامي البارودي، الديوان، تحقيق: علي الجارم ومحمد شفيق مصروف، دار العودة، بيروت، 1998.
- 49- المنجد في اللغة والعلوم، مكتبة نور، (دط)، (دت).
- 50- ابن منظور، لسان العرب، باب غرب، مجلد1، دراسات العرب، بيروت، لبنان، ط2، 1994.
- 51- النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق وشرح: البستاني، دار صادر، بيروت.
- 52- يحيى الحيواري، الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، دار مجد لاوي، عمان، الأردن، ط1، 2007.

iii. المجلات والدوريات:

- 53- حليم بركات، مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب بولاق القاهرة، مصر، 1983م.
- 54- أبو زيد أحمد، الاغتراب، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج10، عدد1، ص1979.
- 55- عصام سرتح، ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (دط)، 2005م.
- 56- قيس النوري، الاغتراب اصطلاحات مفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، عدد1، 1979.
- 57- عبد مالك بن ريب، ديوانه حياته وشعره، تحقيق: نوري حمودي القيسي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد15.

58- محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين الدلالية والبنية الإيقاعية، منشورات اتحاد العرب، دمشق-سوريا، (دط)، 2001م.

59- نبيل راغب، مفهوم الاغتراب في الأدب، مجلة الفيصل، العدد 96 مارس، 1985.

60- الوهاب البياتي، تجرّتي الشعرية، مجلة الآداب، بيروت، مارس 1966.

iv. الرسائل الجامعية:

61- السعيد قرني، بناء الأسلوبية في شعر عثمان لوصيف، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، العلوم في اللغة والأدب العربي، تخصص بلاغة وأسلوبية، 2017-2018م.

62- الفارس مجدى، الخصائص النفسية الفارقة والمتعلقة بكشافة التعرض لبرامج التلفزيون الفضائية لدى الشباب الجامعي، رسالة الماجستير، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة، 2004.

63- يونسى كريمة، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيف الأكاديمي لدى طلاب الجامعة، أطروحة لنيل شهادة ماجستير، إشراف بوكرة فاطمة الزهراء، قسم علم النفس العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، (2011-1220).

v. المواقع الالكترونية:

64- <https://larm.wikipedia.org/wiki/cite-ref-3>.

65- إمام حافظ أبي الفرج بن رجب الحنبلي التوحيد الخالص "كشف الكربة في وصف أهل الغربة" من

www.twined.com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
	البسمة
	الآية
	شكر وتقدير
أ-ب-ج	مقدمة
الفصل الأول: حضور الألم والاعتراب في الشعر العربي القديم والحديث	
10	1- تعريف الألم
10	أ- لغة
10	ب- اصطلاحا
11	2- تعريف الاعتراب
11	أ- لغة
12	ب- اصطلاحا
15	3- حضور الألم والاعتراب في الشعر العربي القديم والحديث
15	ب- حضور الألم والاعتراب في الشعر العربي القديم
21	ب- حضور الألم والاعتراب في الشعر العربي الحديث
الفصل الثاني: صور الألم والاعتراب في شعر عثمان لوصيف	
32	3- حضور الألم والاعتراب في شعر عثمان لوصيف
32	ت- صور الألم في شعر عثمان لوصيف
40	ث- صور الاعتراب في شعر عثمان لوصيف
47	4- جمالية الاشتغال تيمة الألم والاعتراب
47	ت- جمالية الاشتغال الإيقاعي
48	أ-1 الوزن
53	أ-2 التكرار

فهرس الموضوعات

57	ث- جمالية الاشتغال التخيلى
57	ب-1 الرمز
64	ب-2 الصورة الشعرية
69	خاتمة
72	قائمة المصادر والمراجع
78	فهرس الموضوعات
	الملخص

الملخص:

برزت ظاهرتا الألم و الاغتراب في الشعر القديم وكان حضوره متباينا حسب العصور ، واشتد بروزه بالعصر الحديث بكثافة حيث أصبحت أغلب إبداعات الشعراء تحمل نبرة الألم و الاغتراب والحزن والأسى، وذلك تأثرا بالنزعة الرومانسية الغربية وبالأوضاع السياسية والاجتماعية المتغيرة وقد بدا ذلك واضحا في ابداعات الشعراء جامعة الديوان و المهجر و أبولو وغيرهم

كما عبروا عن هاتين الظاهرتين الشعراء المعاصرون، وأبدعوا في التعبير عنها، ومن هؤلاء: محمود درويش، فدوى طوقان، عبد الحميد باشوات و عثمان لوصيف الذي فاضت قصائده ألما و اغترابا .

الكلمات المفتاحية: الألم ، الاغتراب ، الشعر.

Abstract :

The emergence of pain and alienation in the old poetry and its presence varied according to the ages, and became more prominent in the modern era intensively where most of the creations of poets have the tone of pain and alienation, sadness and grief, influenced by Western romanticism and the changing political and social conditions and this was evident in the creativity of poets Al Diwan University Diaspora, Apollo and others.

These artists also expressed these phenomena and expressed their opinions, including: Mahmoud Darwish, Fadwa Touqan, Abdel Hamid Bashwat and Osman Loseif, whose poems were flooded with pain and alienation.

Keywords: pain, alienation, poems.